الفصل الأول
شبهات المستشرقين حول الوحى النبوى

إن من أهم الأمور بل من أعظمها خطراً أمر الوحى والنبوة الذى أطلق المستشرقون لعقولهم الأعنة بالخوض والطعن فيه مستهدفين بذلك الإسلام كله ، لأنهم يعلمون أن القدح فى نبوته صلى الله عليه وسلم والنيل منها يؤدى إلى انهيار صرح الإسلام وتداعيه ، إذ الوحى هو الأساس الذى ينبنى عليه الدين فإذا فقد فقد الدين .

ومن هنا كثفوا حملاتهم ، وزادوا هجماتهم ، يحملهم الحقد وتدفعهم البغضاء والعداء السافر ، يصدرون عن أحكام مغرضة ، وأقوال جائرة ، مجافين طرق البحث العلمى النزيه {ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}(١).

لقد كان عدم التصديق بنبوته صلى الله عليه وسلم هو القاعدة التى انطلقوا منها فى بث كل شكوكهم ومطاعنهم فى بقية جوانب الإسلام .

وقبل أن نتناول شبهات أولئك القوم لابد من وقفة نكشف من خلالها بالبراهين الساطعة والأدلة الدامغة التى تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى نبوته ، وأنه رسول من عند الله حقاً يوحى إليه ، لم يكن دعياً ولاكذاباً ولامخادعاً، بل ابتعثه الله لحمل رسالته ، وتبليغ دينه ، وإقامة حجته على جميع أهل الأرض ، فالسعيد من احتذى حذوه وسار على نهجه والشقى من تنكب طريقه {واتبع هواه وكان أمره فرطاً}(٢).

من ذلك :

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٢

(٢) سورة الكهف : آية ٢٨

الفرط : هو الإسراف فى التقدم ومجاوزة الحد .

انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٢٣/٢ .

"وكان أمره فرطاً" : أى أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع .

تفسير القرآن العظيم ٨١/٣ .

(١) قال تعالى : {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده}(١).

ففى الآية دلالة على أن الله قد أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى الأنبياء السابقين ، فوحيه إليه كوحيه إليهم فى جنسه وموضوعه والغرض منه(٢).

فلم يكن بدعاً فى رسالته كما قال سبحانه : { قل ماكنت بدعاً من الرسل وماأدرى مايفعل بى ولابكم إن أتبع إلا مايوحى إلى وماأنا إلا نذير مبين}(٣). فلم يكن أول من أرسله الله ، فقد بعث من قبله رسل كثر .

يقول ابن كثير رحمه الله :

{قل ماكنت بدعاً من الرسل} أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبل فما أنا بالأمر الذى لانظير له حتى تستنكرونى وتستبعدون بعثتى إليكم فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الأنبياء إلى الأمم "(٤).

وجنس الرسل معروف وهو معتاد فى الآدميين وإن كان قليلاً ، وقد جاء النبى بجنس ماجاءوا به ، بل أعظم مما جاءوا به فهو أحق بالتسليم له بالنبوة من سواه(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"نبوة عين هذا النبى تكون ظاهرة ، لأن الذى جاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء فمن أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد فى غاية الظهور ... ولهذا كان من نازع من أهل الكتاب فى نبوة محمد إما أن يكون بجهله بما جاء به وهو الغالب على عامتهم ، أو لعناده وهو حال طلاب

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٣

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٥/١ ، فتح البارى ٩/١ ، الوحى المحمدى ص٣٥ .

(٣) سورة الأحقاف : آية ٩

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٥٤/٤ .

(٥) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٩ .

الرياسة بالدين منهم "(١).

(٢) قال تعالى : {لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً}(٢).

فقد شهد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رسوله حقاً الذى أنزل عليه القرآن ، فما أعظمها من شهادة ، وماأعظمه من شاهد ثم ثنى بملائكته الذين شهدوا أيضاً بصحة الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم(٣).

فمن لم يقبل شهادة الله بصدق نبيه وشهادة ملائكته بإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فليس من المؤمنين ، ولذا عقب الآية بقوله : {إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً}(٤). أى كفروا فى أنفسهم بعدم التصديق بوحيه إلى نبيه ثم صدوا غيرهم بإثارة الشبه والشكوك عن اتباع ذلك النبى والاقتداء به(٥).

(٣) قامت الشواهد على صدقه صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك العدو والصديق .

فقريش التى جابهته العداء ، وأخرجته من بينها ، وآذت من آمنوا معه ، كانت تقر بصدقه وأمانته .

عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية : {وأنذر عشيرتك الأقربين}(٦) ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا .

---

(١) كتاب النبوات ص٣٨-٣٩ .
(٢) سورة النساء : آية ١٦٦
(٣) انظر : الوحى المحمدى ص٣٦ .
(٤) سورة النساء : آية ١٦٧
(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٩/١ .
(٦) سورة الشعراء : آية ٢١٤

فهتف "ياصباحاه"(١)فقالوا : من هذا الذى يهتف؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : "يابنى فلان! يابنى فلان! يابنى فلان! يابنى عبد مناف! يابنى عبد المطلب!" فاجتمعوا إليه فقال : "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح(٢)هذا الجبل أكنتم مصدقى؟" قالوا : ماجربنا عليك كذباً . قال : "فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ..."(٣). وهذا من أقوى الأدلة على صدقه قبل البعثة وبعدها ، وأدرى الناس به قومه وعشيرته وقد شهدوا له بذلك .

وخديجة رضى الله عنها لما جاء إليها وأخبرها بأمر الوحى وقال لها : "لقد خشيت على نفسى" قالت : "كلا والله مايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل(٤)، وتكسب المعدوم(٥) ،

---

(١) ياصباحاه : قال ابن الأثير : "هذه كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ، لأنهم أكثر ماكانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ، فكأن القائل "ياصباحاه" يقول : غشينا العدو . وقيل : إن المقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال ، فإذا عاد النهار عاودوه ، فكأنه يريد بقوله : ياصباحاه : قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال" . النهاية ٣/٦-٧ .

(٢) السفح : عرض الجبل المضطجع ، أو أصله ، أو أسفله ، أو الحضيض . والجمع سفوح . القاموس المحيط ص٢٨٧ .

(٣) أخرج البخارى نحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الشعراء (٢٦) ، باب قوله : {وأنذر عشيرتك الأقربين} (٢) ، ٦/١٦-١٧ ، وفى تفسير سورة سبأ (٣٤) ، باب إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد (٢) ، ٦/٢٩ ، وفى تفسير سورة تبت يدا أبى لهب (المسد) (١١١) ، باب (١) ، وباب قوله : {وتب ماأغنى عنه ماله} (٢) ، ٦/٩٤-٩٥ .
وأخرجه مسلم واللفظ له ، كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله تعالى : {وأنذر عشيرتك الأقربين} (٨٩) برقم ٢٠٨ ، ١/١٩٣-١٩٤ .

(٤) الكل : بفتح الكاف : هو من لايستقل بأمره . كما قال تعالى : {وهو كل على مولاه} . (سورة النحل : آية ٧٦) . فتح البارى ١/٢٤ . وانظر النهاية ٤/١٩٢ .

(٥) تكسب المعدوم : قال ابن الأثير : "أى يكسب مايحرمه غيره . وقيل : أرادت تكسب الناس الشىء المعدوم الذى لايجدونه مما يحتاجون إليه . وقيل : أرادت بالمعدوم الفقير الذى صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه . فعلى الأول يكون تكسب متعدياً الى مفعول واحد . وعلى القولين الأخيرين يكون متعدياً إلى مفعولين" . النهاية ٣/١٩١-١٩٢ .

وتقرى (١) الضيف وتعين على نوائب (٢) الحق "(٣).

فاستدلت على صدقه بمكارم الأخلاق وماتصف به من أصولها صلى الله عليه وسلم فمثله لايخزى ولايهان .

وورقة بن نوفل الذى تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى مايكتب ، لما أخبره النبى صلى الله عليه وسلم خبر مارأى قال له ورقة : "هذا الناموس (٤) الذى نزل الله على موسى "(٥) فلم يكذبه فيما رأى وأخبر ، بل ثبته فى أمره وأيده فى قوله .

ومثله قول النجاشى (٦) عندما قرىء عليه القرآن من قبل الصحابة

---

(١) تقرى الضيف : أى تضيفه . انظر : القاموس المحيط ص١٧٠٦ .

(٢) نوائب : جمع نائبة . وهى ماينوب الإنسان : أى ينزل به من المهمات والحوادث النهاية ١٢٣/٥ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى (١) ، باب (٣) ، من حديث عائشة رضى الله عنها ، ولم يذكر قولها : "وتصدق الحديث" ٣/١-٤ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق) (٩٦) ، باب (١) ٨٧/٦-٨٩ ، وفى كتاب التعبير (٩١) ، باب التعبير وأول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا (١) ، ٦٧/٨-٦٨ .
وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٣) برقم ١٦٠ ، ١٣٩/١-١٤٢ .

(٤) الناموس : هو صاحب سر الخير ، كما أن الجاسوس صاحب سر الشر . وأراد بذلك جبريل عليه السلام ، لأن الله تعالى خصه بالوحى والغيب الذين لايطلع عليهما غيره .
انظر : الفائق ١٨٣/١ ، النهاية ١١٩/٥ .

(٥) انظر تخريج الحديث السابق .

(٦) النجاشى :
هو أصحمة بن أبجر النجاشى . ملك الحبشة . واسمه بالعربية عطية ، والنجاشى لقب . أسلم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر إليه ، وليس له رؤية ، فهو صحابى من وجه ، تابعى من وجه . وكان رداً للمسلمين الذين هاجروا إليه فى صدر الإسلام ، نافعاً لهم ، محسناً إليهم . قيل إنه توفى فى العام التاسع للهجرة وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته صلاة الغائب .
انظر : أسد الغابة ١١٩/١-١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١-٤٤٣ ، الإصابة ١٠٩/١

رضى الله عنهم وأجلوا له الأمر ، قال : "إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة"(١).

ومن أبلغ الأدلة والشواهد مااستدل به هرقل(٢)عظيم الروم على صدقه وإثبات نبوته . وذلك عندما وصله كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى يدعوه فيه إلى الإسلام . فاستدعى أبا سفيان ومن معه ثم طرح عليهم مجموعة من الأسئلة ، فسألهم عن نسبه فيهم ، وهل قال هذا القول أحد قبله؟ وهل كان فى آبائه من ملك؟ وهل يتبعه أشرافهم أم ضعفاؤهم؟ وهل يزيدون أم ينقصون؟ وهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ وهل كانوا يتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ وهل يغدر؟ وهل قاتلوه؟ وكيف كان قتالهم إياه؟ وبماذا يأمرهم؟

ثم استدل بما أجابه به على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم فقال للترجمان(٣): "قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم

---

(١) وهو طرف من حديث أم سلمة فى شأن الهجرة الأولى إلى الحبشة . أورده ابن هشام فى السيرة النبوية من طريق ابن إسحاق ١/٢٠٥-٢٠٨ .
وأخرجه أحمد عنها فى المسند ١/٢٠٣ ، ٥/٢٩١ .
وحسنه الشيخ ناصر الدين الألبانى . انظر شرح الطحاوية ص١٥٣ الهامش .

(٢) هرقل :
هوملك الروم ، وهرقل اسمه ، ولقبه قيصر . وكان له علم فى دين النصرانية ، وهو الذى أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم خطاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، فأراد أن يسلم ولكن الروم أبت عليه فضن بملكه فلم يسلم .
انظر : البداية والنهاية ٤/٢٦٢-٢٦٨ ، فتح البارى ١/٣٣-٣٧ .

(٣) التُرجمان : وتفتح . وهو الذى يترجم الكلام . أى ينقله من لغة إلى لغة أخرى والجمع التراجم . والتاء والنون زائدتان . النهاية ١/١٨٦ .

تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته(١) القلوب . وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لاتغدر . وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمى هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت(٢) لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه"(٣).

(٤) النبوة لها خواص مستلزمة لها تعرف بها ، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الأنبياء ، وإن كانت معتادة للأنبياء فهى لاتوجد لغيرهم . فإذا أتى مدعى النبوة بالأمر الخارق للعادة الذى لايكون إلا لنبى لايحصل مثله لساحر ولاكاهن ولاغيرهما كان دليلاً على نبوته(٤).

---

(١) البشاشة : هى الفرح بالشىء والانبساط إليه ، والإنس به .
انظر : النهاية ١/١٣٠ .

(٢) تجشمت الشىء إذا تكلفته . انظر المرجع نفسه ١/٢٧٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحى (١) ، باب (٦) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ١/٥-٧ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) تفسير سورة آل عمران (٣) ، باب {قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء} (٤) ، ٥/١٦٧-١٦٩ وأخرجه مختصراً فى كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب (٧٦) ٣/٢٢٥ ، وفى باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب (٩٩) ٣/٢٣٤ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل (٦) برقم ١٧٧٣ ، ٣/١٣٩٣-١٣٩٧ .

(٤) كتاب النبوات ص٣٣ .

وقد اقتضت حكمة الله عدم التسوية بين الصادق والكاذب ، فهو لايؤيد الكذاب بمثل ماأيد به الصادق قط ، بل لابد أن يفضحه ولاينصره ، بل لابد أن يهلكه(١).

ومامن أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ماظهر لمن له أدنى تمييز(٢).

فالذى يتتبع أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعجزاته ، وأخلاقه وصفاته ، ونصر الله له وتأييده ، وقيامه بما كلفه الله به على أكمل وجه ، وصبره على الأذى فى سبيل دين الله ، قطع قطعاً جازماً بصدق ذلك النبى صلى الله عليه وسلم .

قال أبو الحسن الماوردى :

"ولم تزل أمارات النبوة لائحة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تدرج إليها وهو غافل عنها وغير متصنع بها فنهض بأعبائها حين أتته وقام بحقوقها حين لزمته غير واهل فيها ولاعاجز عنها إلى أن تكامل به الشرع فتم على أصل مستقر وقياس مستمر لايدفعه عقل ولايأباه قلب ولاتنفر منه نفس ، وهذا وهو أمى لم يقرأ كتاباً ولااكتسب علماً ، فأوضح كل ملتبس ، وبين كل مشتبه حتى رجع كثير من الملل إلى شريعته فى علم ماقصروا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها وبين أحكامها ، وماذلك إلا بعون إلهى وتأييد لاهوتى ، وحسبك بهذا شاهداً لو اقتصرنا عليه ، وحجاباً لو اكتفينا به"(٣).

(٥) إن كمال الإسلام وسده لحاجة البشرية فى كل زمان ومكان ، واستمراريته طيلة القرون السابقة ، وإقبال الناس عليه ، والتمسك به والدفاع عنه ، أصدق دلالة وأقوى حجة على أنه دين من عند الله تعالى أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، لادخل للبشر فيه .

---

(١) المرجع السابق ص٢٤٤،٢٤٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٠ .

(٣) أعلام النبوة ص٥٦ .

قال كارليل (١):

"لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى مايظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة . فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والإحصار أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلاأستطيع أن أرى هذا الرأى أبداً . ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس إلا بله ومجانين ومالحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها ألا تخلق . فواأسفاه! ماأسوأ مثل هذا الزعم وماأضعف أهله ... فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات أن لايصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء فإنها نتاج جيل كفر وعصر جحود والحاد وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح فى حياة الأبدان"(٢).

هذا قليل من كثير مما يؤيد صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله يوحى إليه . وسوف تأتى بعض الأدلة الأخرى من خلال الرد على الشبه .

---

(١) هو توماس كارليل . كان من المستشرقين المنصفين الذين قالوا كلمة حق فى الإسلام ، ولم يؤمن به . له كتاب "الأبطال" عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبى صلى الله عليه وسلم . مات سنة ١٨٨١م .
انظر : المستشرقون ٤٨١/٢ ، آراء المستشرقين حول القرآن ٧٤/١ .

(٢) الأبطال ص٥٤-٥٥ ، وانظر ص٥٨ .

عرض شبهات المستشرقين حول الوحى النبوى والجواب عنها:

الوحى لغة :هو إعلام فى خفاء(١).

وفى الشرع : هو الإعلام بالشرع(٢).

وسنة النبى صلى الله عليه وسلم وحى من عند الله كصنوها القرآن ، وتصديق ذلك قوله سبحانه وتعالى : {وماينطق عن الهوى.إن هو إلا وحى يوحى}(٣). وقال صلى الله عليه وسلم : "ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه" الحديث(٤).

وقال حسان بن عطية(٥)رحمه الله : "كان جبريل (عليه السلام) ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن"(٦).

ومن هنا كان القدح فى الوحى وفى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم قدحاً فى السنة كما هو قدح فى القرآن .

ولقد ركز المستشرقون جل جهودهم ، وبذلوا قصارى جهدهم فى الوصول إلى نفى النبوة وسلبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن

---

(١) لسان العرب ٢٥٧/١٢ ، مختار الصحاح ص٧٣٨ .

(٢) فتح البارى ٩/١ .

(٣) سورة النجم : آية ٣،٤

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه من حديث المقدام بن معديكرب . إلا أنه قال : "أوتيت الكتاب" . كتاب السنة ، باب فى لزوم السنة برقم ٤٦٠٤ ، ٢٠٠/٤ ،
وسنده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ٥٨/١ ، الهامش .
وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده بلفظه عن المقدام ١٣١/٤ .
وقد نص الشيخ ناصر الدين الألبانى على صحة الحديث .
انظر : صحيح سنن أبى داود ٨٧١/٣ ، حديث رقم ٣٨٤٨ .

(٥) هو المحاربى ، مولاهم ، أبو بكر الدمشقى ، ثقة ، فقيه ، عابد . روى عن أبى أمامة ، وابن المسيب ، وعنه الأوزاعى ، وأبو غسان محمد بن مطرف . مات بعد العشرين ومائة .
انظر : الجرح والتعديل ٢٣٦/٣ ، الكاشف ٢١٧/١ ، تقريب التهذيب ١٦٢/١ .

(٦) سنن الدارمى ، المقدمة ، باب السنة قاضية على الكتاب ١٤٥/١ .

ماجاء به نتاج بشرى وليس من عند الله تعالى . ولذا حاولوا أن يفسروا الوحى تفسيراً يؤدى بهم إلى هذا الزعم الجائر والضلال البين .

وقد تباينت أقوالهم وتضاربت آراؤهم فى بيان حقيقة أمر الوحى وكنهه .

وإليك ماأنتجته عقولهم وسطرته أقلامهم من شبه حول ظاهرة الوحى الإلهى إلى خاتم الرسل ، صلى الله عليه وسلم . وهى تدور حول محورين :

الأول : إنه أمر ذاتى ، أى من داخل نفس النبى صلى الله عليه وسلم.

الثانى : إنه أمر خارج عنه ، ولكن ليس من عند الله سبحانه .

(أ) أما المحور الأول فانه يحوى بين طياته عدة تفسيرات للوحى :

(١) **الوحى النفسى :**

إن محمداً كان من أصحاب النفوس الصافية والخيال الواسع ، والإحساس العميق ، والعقل المتوقد ، ولذا انصرف فى وقت مبكر إلى التفكير فى المسائل الدينية ، ولم يجد فى العبادة الوثنية التى تقوم من حوله مايروى ظمأه الروحى (١).

وهذه الأفكار ولدت إلهاماً فى نفسه فاض من عقله الباطن على مخيلته وانعكس على بصره وسمعه فتصور أنه يرى ملكاً يخاطبه ، أو يتمثل له رجلاً ، أو يرى فى منامه مااعتقد أنه وحى من الله كلف بإبلاغه إلى بنى وطنه (٢).

يقول المستشرق بروكلمان (٣)، مصوراً لنا الوحى النفسى :

"بينما كان بعض معاصرى النبى كأمية بن أبى الصلت (٤)شاعر الطائف وهى بلدة بجذاء مكة ، يكتفون بوحدانية عامة ، كان محمد يأخذ بأسباب

---

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٤ .

(٢) انظر : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٦/١ ، ٢٢٨/١-٢٢٩ ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦٨ ، آراء المستشرقين حول القرآن ٣٨٢/١ .

(٣) بروكلمان :
هو كارل بروكلمان . مستشرق ألمانى ، تعلم اللغة العربية وكان عالما بتاريخ الأدب العربى . عضو المجمع العربى وكثير من المجامع الأخرى بألمانيا . مات سنة ١٩٥٦م. من آثاره : "تاريخ الأدب العربى" ، "تاريخ الشعوب الإسلامية" وغيرها .
انظر : الأعلام ٢١١/٥-٢١٢ ، المستشرقون ٧٧٧/٢-٧٨٣ ، المستشرقون الألمان ص١٥٣-١٦٢ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١٩٧/١-١٩٨ .

(٤) أمية بن أبى الصلت :
هو أمية بن عبد الله بن أبى الصلت بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى . شاعر جاهلى من أهل الطائف . فى شعره حكم . اطلع على الكتب القديمة ، وقد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به . مات سنة ٥هـ على خلاف فى ذلك .
انظر : البداية والنهاية ٢٢٠/٢-٢٢٩ ، الإصابة ١٢٩/١-١٣٠ ، الأعلام ٢٣/٢ .

التحنث (١)، والتنسك (٢)، ويسترسل فى تأملاته حول خلاصه الروحى ، ليالى بطولها فى غار حراء (٣) قرب مكة. لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة ، فكان يضج فى أعماق نفسه هذا السؤال : إلى متى يمدهم الله فى ضلالهم ، مادام هو عز وجل قد تجلى ، آخر الأمر ، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت فى نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة ، رسالة النبوة ، ولكن حياءه الفطرى حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة ، ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة فى غار حراء . ذلك بأن طائفا تجلى له هنالك يوما ، هو الملك جبريل على ماتمثله محمد فى مابعد ، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة . وآمنت زوجه فى الحال ، برسالته المقدسة ، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التى ناداه فيها الصوت الإلهى وتكاثرت . ولم تكد هذه الحالات تنقضى حتى أعلن ماظن أنه قد سمعه ، كوحى من عند الله"(٤).

---

(١) التحنث : هو التعبد . من الحنث وهو الإثم . أى يفعل فعلا يخرج به من الاثم والحرج . انظر : لسان العرب ١٣٨/٢-١٣٩ ، الصحاح ٢٨٠/١ مادة (حنث) . وانظر : الفائق ٢٧٢/١ ، النهاية ٤٤٩/١ .

(٢) التنسك : هو التعبد . من النسك وهو الطاعة والعبادة ، وكل مايتقرب به إلى الله تعالى . انظر : لسان العرب ٤٩٨/١٠-٤٩٩ ، الصحاح ١٦١٢/٤ مادة (نسك) . وانظر : النهاية ٤٨/٥ .

(٣) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال .
معجم البلدان ٢٣٣/١ ، مراصد الاطلاع ٣٨٨/١ .

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٦ .

ويجاب عن ذلك بما يلى :

(١) لقد بين الله سبحانه وتعالى أن الوحى أمر خارج عن نفس النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس نابعاً من داخلها ، بل حمله جبريل عليه السلام من عند الله إليه ، كما قال سبحانه :

{وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين}(١).

فحامله عليه السلام ملك منفصل عن ذات محمد صلى الله عليه وسلم ليس خيالاً فيها ، وله من الصفات مابينها الله فى قوله :

{إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وماصاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وماهو على الغيب بضنين . وماهو بقول شيطان رجيم . فأين تذهبون . إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم . وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}(٢).

(٢) إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يستشرف النبوة ، وماكان يرجوها ، ولم يطمع فى حصولها له ، بل لم يرد فى الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم يرجو أن يكون هو النبى المنتظر الذى يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة ، ولو ثبت ذلك عنه لما ترك المحدثون تدوينه ، وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبى الصلت لما كان يتوقع أن يكون نبياً .

---

(١) انظر مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٦/١ .
والآيات هى ١٩٢-١٩٥ من سورة الشعراء .

(٢) انظر كتاب النبوات ص٢٥١ . والآيات هى ١٩-٢٨ من سورة التكوير .

وقد جاء فى القرآن نفى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : {وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك} . فما كان صلى الله عليه وسلم يظن أن الوحى قبل إنزاله عليه ينزل عليه ، وإنما أنزله الله رحمة به وبالعباد ، فهو نعمة من الله وفضل(١).

وأما اختلاؤه صلى الله عليه وسلم وتعبده فى الغار عام الوحى ، فلاشك فى أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد الوهبى ، ولذلك الاستعداد السلبى ، من العزلة وعدم مشاركة المشركين فى شىء من عباداتهم ولاعاداتهم ، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة ، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله وتحقق رجائه ، ولم يخف منه على نفسه ، وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث اشتداد الوحشة من سوء حال الناس والهرب منها إلى الأنس بالله تعالى والرجاء فى هدايته إلى المخرج منها(٢).

(٣) إن الوحى الذى حدث للنبى صلى الله عليه وسلم هو حدث إلزامى فجائى طارىء لايمكن إحضاره واجتلابه ، وبالتالى لايمكن دفعه ورده .

ومن أوضح الأدلة على ذلك مايعتريه من أعراض جسدية لاسيطرة له عليها ، كاحمرار وجهه وتتابع أنفاسه وسماع غطيط منه(٣)، ومايتقاطر منه من عرق فى اليوم الشديد البرد(٤)،

---

(١) انظر : الوحى المحمدى ص١٢٣،١٢٤ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٢٥ ، الإسلام والمستشرقون ص٢٠٨ ، تفسير القرآن العظيم ٣/٣-٤ .
والآية هى ٨٦ من سورة القصص .

(٢) الوحى المحمدى ص١٣١-١٣٢ .

(٣) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الحج (٢٥) ، باب غسل الخلوق ثلاث مرات (١٧) من حديث يعلى بن أمية ١٤٤/٢ .
صحيح مسلم ، كتاب الحج (١٥) ، باب مايباح للمحرم (١) برقم ١١٨٠ ، ٨٣٦/٢-٨٣٧ .

(٤) انظر : صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحى (١) ، باب كيف كان بدء الوحى (١) ، من حديث عائشة رضى الله عنها ٢/١-٣ .

وثقل جسمه(١)، ومايسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوى النحل(٢).

وهـذه الأعـراض لاتعتريه صلى اللـه عليـه وسلم إلا فى فترات وجيزة وبرهات متقطعة وذلك عند نزول الوحى عليه .

ومما يدل على ذلك أيضاً مـاانتابه من أحوال نفسيـة تمثلـت فى خوفه صلى اللـه عليـه وسلم مـن ملـك الـوحى فى مبدأ أمره ، كمـا جاء فى رواية عائشة رضى الله عنها . وقوله : "لقد خشيت على نفسى"(٣).

وقوله : "زملونى زملونى حتى ذهب عنه الروع"(٤).

وفى رواية جابر : "فجئثـت منه فرقاً حتى هـويت إلى الأرض"(٥)(٦).

قـال النـووى رحمه الله فى شـرحه لرواية عائشـة رضـى الله عنها :

---

(١) انظـر : صحيح البخارى ، كتـاب الصلاة (٨) ، باب مايذكـر فى الفخـذ (١٢) من حديث زيد بن ثابت ١/٩٧ ، كتـاب التفسير (٦٥) ، تفسير سـورة القيـامة (٤) ، باب {لايستوى القاعدون من المؤمنين} (١٨) ، ٥/١٨٢ .

(٢) انظر : مسند أحمد ، من حديث عمر ١/٣٤ .
قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" .
مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١/٢٥٥ ، مصنف عبد الرزاق ، باب تعليم القرآن وفضله برقم ٦٠٣٨ ، ٣/٣٨٣ .
مستدرك الحاكم ١/٥٣٥ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى .

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ٣٦٢

(٤) سبق تخريجه . انظر ص : ٣٦٢
وزملونى : أى لفونى بالثياب . انظر : الفائق ٢/١٢٢ ، النهاية ٢/٣١٣ .
والروع هو الخوف والفزع . انظر : النهاية ٢/٢٧٧ .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحـه ، كتـاب الإيمان (١) ، باب بدء الـوحى إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم (٧٣) ، برقم ١٦١ ، ١/١٤٣ .
وجئثـت منه : أى فزعت منه وخفت . وقيل معناه : قلعـت من مكانى . من قوله تعالى : {اجتثت من فوق الأرض} (سورة إبراهيم : آية ٢٦) . النهاية ١/٢٣١-٢٣٩

(٦) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠ .

"حتى فجئه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك"(١)قال :

"أى جاءه الوحى بغتة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متوقعاً الوحى "(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى قولها "فى اليوم الشديد البرد"(٣): دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحى ، لما فيه من مخالفة العادة ، وهو كثرة العرق فى شدة البرد ، فإنه يشعر بوجود أمر طارىء زائد على الطباع البشرية"(٤).

والدليل على أنه صلى الله عليه وسلم لاقدرة له على إحضار الوحى وجلبه ، فتور الوحى وانقطاعه عنه فترة من الزمن حتى شق ذلك عليه وأحزنه وأقض مضجعه ، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله : {والضحى . والليل إذا سجى . ماودعك ربك وماقلى}(٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق) (٩٦) ، ٦/٨٧-٨٩ ، وفى كتاب التعبير (٩١) ، باب التعبير وأول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ٨/٦٧-٦٨ . وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحى (٧٣) برقم ٢٥٢ ١/١٣٩-١٤٢ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢/١٩٩ .

(٣) سبق تخريجه . انظر ص، ٣٧٢

(٤) فتح البارى ١/٢١ .

(٥) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٠ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٠٠ .

والآيات هى ١-٣ من سورة الضحى .

وانظر : صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسيرة سورة الضحى (٩٣) ، ٦/٨٦ .

وانظر فى انقطاع الوحى وحزن النبى صلى الله عليه وسلم : صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق) (٩٦) ٦/٨٨ .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحى (٧٣) ١/١٤٣ .

ومن ذلك مارواه الإمام البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عندما أبطأ جبريل فى النزول عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟" فنزلت : {ومانتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وماخلفنا}(١)(٢).

ومن ذلك حادثة الإفك(٣)عندما رميت السيدة عائشة رضى الله عنها زوجه بما رميت به ، ولبث صلى الله عليه وسلم شهراً لايوحى إليه فى شأنها حتى استدعى على بن أبى طالب وأسامة بن زيد يستأمرهما فى فراق أهله ، وحتى قال لها :

"ياعائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه"(٤).

---

(١) سورةمريم : آية ٦٤

(٢) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق (٥٩)، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٨٠/٤ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة كهيعص (مريم) (١٩) ، باب قوله : {ومانتنزل إلا بأمر ربك} (٢) ، ٢٣٧/٥ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٨/٨ .

(٣) الإفك : فى الأصل الكذب . وأريد به هنا ماكذب به على عائشة رضى الله عنها فيما رميت به .
انظر : الفائق ٤٩/١ ، النهاية ٥٦/١ .

(٤) هذا جزء من حديث عائشة رضى الله عنها الطويل فى حادثة الإفك .
والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (١٥) ، ١٥٤/٣-١٥٨ ، وفى كتاب المغازى (٦٤) ، باب حديث الإفك (٣٤) ، ٥٥/٥-٦٠ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة النور (٢٤) ، باب {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً} (٦) ، ٥/٦-٩ .
وأخرجه مختصراً فى كتاب الشهادات ، باب إذا عدل رجل أحداً فقال لانعلم إلا خيراً (٢) ، ١٤٦/٣-١٤٧ ، وفى كتاب التفسير ، تفسر سورة يوسف (١٢) ، باب قوله {بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل} (٣) ، ٢١٦/٥ ، وفى تفسير سورة النور ، باب {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا} (١١) ١١/٦-١٣ . =

ففى هذه الحادثة أقوى دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم لاسيطرة له على الوحى ولاهيمنة ، وإنما هو أمر من عند الله تعالى .

ومن ذلك : إن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى يهود المدينة يستخبروهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم فأمروهم أن يسألوه عن أهل الكهف ، وذى القرنين والروح ، فسألوه ، فقال صلى الله عليه وسلم : "أخبركم بما سألتم عنه غداً" ولم يستثن . فانصرفوا عنه ، فمكث خمس عشرة ليلة لم يأته الوحى ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة ، وقد أصبحنا منها لايخبرنا بشىء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحى عنه وشق عليه مايتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف ، وفيها معاتبته على حزنه عليهم وخبر ماسألوه(١).

(٤) أقام صلى الله عليه وسلم فى قومه أربعين سنة قبل أن يوحى إليه ولم يكن معروفاً بينهم بالعلم والمعرفة ، ولاالتخيل ، ولاالوهم الدينى ، ولاالشعر ، ولاالخطابة ، بل كان أمياً لامعرفة له بالكتابة ولاالقراءة ، ولكنه فجأة يدعوهم إلى عقيدة حكيمة ، وعبادات سليمة ، وآداب مستقيمة ، وأخلاق قويمة ، فأشربها ملايين البشر ودانوا لله بها ، ولم يأت مايبين عدم صحتها أو استقامتها .

= وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (٣٥) ، ١٩٨/٨ ، وفى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع الكرام البررة (٥٢) ، ٢١٤/٨ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب فى حديث الإفك (١٠) برقم ٢٧٧٠ ، ٢١٢٩/٤-٢١٣٦ .

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٨١،١٨٠/١ ، تفسير القرآن العظيم ٧١/٣-٧٢ . وقد أورده البيهقى من طريق ابن إسحاق . وفى سنده راو لم يسم . دلائل النبوة ٢٦٩/٢-٢٧١ .

فلايمكن لهذه الأحكام التى تتسم بالكمال والاستمرارية أن تكون صادرة إلا من الخالق العظيم المطلع على غيب السموات والأرض سبحانه وتعالى(١).

قال الله تعالى : {قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ، ولاأدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون}(٢).

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله تعالى :

{قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاأدراكم به} : "أى هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لى فى ذلك ومشيئته وإرادته ، والدليل على أنى لست أتقوله من عندى ولافتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقى وأمانتى منذ نشأت بينكم إلى حين بعثنى الله عز وجل لاتنتقدون على شيئا تغمصونى به ولهذا قال : "فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلاتعقلون" : أى أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل"(٣).

(٥) النبوة ليست أمرا كسبيا يناله المرء بسعيه وكسبه ، ولاتخضع لجهد فكرى أو ترقى روحى وأخلاقى ، ولاتنال بالقيم الدنيوية ، ولاالاعتبارات المادية ، فليست بابا مفتوحا يلج من خلاله من سمت نفسه ، أو عظم إشراقه ، بل هى اصطفاء إلهى يختص به من يشاء من عباده ،{والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم}(٤).

وقد حكى الله عن المشركين عندما قالوا : {وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} أجابهم بقوله : {أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض

---

(١) انظر : الوحى المحمدى ص٩٣،١٣٧ ، الإسلام والمستشرقون ص٣٢٢ .

(٢) سورة يونس : آية ١٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٤١٠ .

(٤) انظر : كتاب النبوات ص٤٢٢ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٠٦ مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٢٧ .
والآية هى ١٠٥ من سورة البقرة .

درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون}(١).

وقال تعالى : {الله أعلم حيث يجعل رسالته}(٢)، وقد جعلها فى محمد صلى الله عليه وسلم كما جعلها فى الرسل قبله ، واصطفاه لذلك ، فأى غرابة وعجب فى ذلك؟ إن قدح بروكلمان ومن شايعه فى إثبات الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم يقدح فى ديانته وفى رسوله الذى يؤمن به ، فما قاله هنالك فى إثبات الوحى يلزمه أن يقوله هنا ، إذ لافارق بين الوحيين(٣).

ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته أن الوحى هو حلول روح الله فى روح الموحى إليه . ولأجل ذلك ألهوا رسولهم ، وهذا تعريف خاطىء للوحى ، وقول فاسد بل هو كفر والحاد ، فالله لايحل فى غيره ولايحل فيه غيره(٤).

(٦) أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بدعوته فى قوله : {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}(٥)، فالتزم صلى الله عليه وسلم أمر ربه وأعلنها مدوية فى سماء مكة ، وبادى قومه بالإسلام ، مظهراً لأمره ، معلناً له ، فعاب آلهتهم وبين ضلالهم وانحرافهم عن الحق ، فقاموا فى وجهه وكاشفوه العداء ، وهو فى صلابة لاينثنى ولايلين ، فذهبوا إلى عمه الذى حدب عليه وحماه فقالوا : ياأبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى على ماهو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، فعاد زعماء القوم إلى أبى طالب مرة أخرى ، فقالوا : إنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا

---

(١) سورة الزخرف : آية ٣١،٣٢

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٤

(٣) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص١٦٦،١٧٠ .

(٤) انظر : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ص٢٧ .

(٥) سورة الحجر : آية ٩٤

وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك ، حتى يهلك أحد الفريقين(١).

فقد لقى النبى صلى الله عليه وسلم من قومه مالقى ، من العنت والشدة ، فلو أن أمر الوحى كان ذاتياً ينبع من نفسه كيف صبر على مواجهة أولئك ، وهو أمر لاتستحسنه النفوس ، ولاتسعى إليه؟ بل هو وحى من الله وماعلى الرسول إلا الالتزام والانصياع والطاعة(٢).

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٩-١٦١ .

(٢) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٠٨ .

(٢) أن الوحى ظاهرة للإصلاح الاجتماعى :

لقد عاش محمد فى مكة وكان على علم ودراية بحالة المجتمع الذى يعيش فيه ، فقد كانت المادية مؤثرة على ذلك المجتمع ، وتحكم فيه الكبراء على الضعفاء والأغنياء على الفقرا، وساد فيه الظلم والأنانية وحب الذات ، وسوء المعاملة ، وقد لمس محمد ذلك بنفسه لأنه كان يتيماً ، فأثرت تلك العوامل فى نفسه فلجأ إلى الكهوف والغيران ليفكر فى أمور دينية يعالج من خلالها مايسود فى مجتمعه من فساد اجتماعى .

وهنالك تملكه شعور بأن الله يدعوه ، وأصبح هذا الشعور قوة تدفعه إلى أن يكون مربياً لقومه ، ومبشراً ومنذراً لهم(١).

يقول المستشرق وات(٢):

"لابد أن محمداً كان واعياً منذ وقت مبكر من عمره بمشاكل مكة الاجتماعية والدينية ، وكونه يتيماً جعله بلاشك أكثر إدراكاً للعلة الموجودة فى المجتمع . أما نظرته الدينية فالمحتمل أنها كانت نوعاً من التوحيد الغامض الموجود بين أكثر المكيين استنارة ولكن لابد أنه كان بالإضافة إلى ذلك يبحث عن نوع من الإصلاح فى مكة وكل الأشياء فى بيئته ستجتمع لتقترح أن هذا الإصلاح لابد أن يكون دينياً .

بهذه الحالة العقلية تعمد محمد فيما يبدو البحث عن العزلة ليفكر فى مسائل إلهية ويقوم ببعض العبادات ربما للتكفير عن الذنوب"(٣).

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ص٧-٨ .

(٢) هو دبليو منتجمرى وات . عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة أدنبرة . له عدة مؤلفات عن الإسلام منها : "محمد فى مكة" ، "محمد فى المدينة" ، "الوحى الإسلامى فى نظر العالم الحديث" ، "الجدل الدينى" .
انظر : المستشرقون ٥٥٤/٢ ،آراء المستشرقين حول القرآن ١٠٧/١ .

(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٢٠/١-٢٢١ .

ويقول المستشرق الألمانى هوبرت جريمى[١] فى كتابه محمد :

"لم يكن محمد فى بادىء الأمر يبشر بدين جديد ، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . فالإسلام فى صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه ، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب ، نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية ، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعى تهدف إلى تغير الأوضاع الفاسدة ، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين ، والفقراء المضطهدين ... لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين ، وهو إنما يستخدم فكرة الحساب فى اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوى وتأييد دعوته"[٢].

---

(١) هو برت جريمى "جريمه" :
هو أستاذ اللغات الشرقية فى مونستر .
من آثاره : "محمد" ، "ترجمة القرآن"، "عرب الشام قبل الإسلام" . وله عدة دراسات أخرى . مات سنة ١٩٤٢م .
انظر : المستشرقون ٧٦٠/٢ .

(٢) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٧/١ ، وانظر : ٢٧/١-٢٨ .

ويجاب عن ذلك بما يلى :

إن تصور المستشرقين للنبى صلى الله عليه وسلم بأنه مصلح اجتماعى وليس نبياً من عند الله ، تصور ينبنى على عجز هؤلاء المستشرقين عن فهم الوحى فهماً حقيقياً .

وذلك لانغماسهم فى الماديات التى أثرت على تلك العقول فلم تصفوا لفهم ماوراء حاجز المادة ، وإنما حصرت نفسها بين جدران المحسوسات ، وليتها وقفت هنالك صامتة مكممة الأفواه ولكنها كشفت عن مزيد جهلها بإنكارها لعالم الغيب ، أضف إلى ذلك مايساير هذا الإنكار من دس وطعن وتشويه وتعصب وتضليل .

لقد وصفوا النبى صلى الله عليه وسلم بكونه مصلحاً اجتماعياً ليضاف إلى صف المصلحين الكثر الذين وجدوا فى هذا العالم فتخلع عنه عند ذلك صفة النبوة ويذوب فى مجاهل التاريخ كما ذاب كثير من أولئك الذين قاموا بخدمات جليلة لإصلاح مفاسد فى مجتمعاتهم .

هذا خلط وفهم سقيم لمقام النبوة التى هى وهب إلهى مع مواقف بعض البشر الذين سمت أنفسهم وصفت أذهانهم فثاروا على وضع ما أو تصحيح خطأ ما .

يقول د. نذير حمدان :

"ومعظم المستشرقين الذين يدرسون ظاهرة الوحى والنبوة إنما يدرسونها من خلال الأحداث الإنسانية والأحوال البشرية ، وكثيراً مايستعينون بالدراسات النفسية والتحليلات التاريخية فى دراسة هذه الظاهرة كما تدرس بطولات آدمية وعبقريات إنسانية ، فإذا بهم يخلطون بين النبوة والعبقرية ، ويلتبس عليهم معانى البطولة ومعانى الرسالة"(١).

---

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص٢٩ .

ويقول د. عماد الدين خليل كاشفاً للمنطلق الذى انطلق منه وات فى زعمه السابق . يقول :

"فإنه ـ أى وات ـ لم يستطع الفكاك من نقاط الشد الأخرى التى تمسك بتلابيب العقل الغربى : النزوع العلمانى ، والمسلمات المادية ، والرؤية الوضعية ، والانحسار على المنظور ، واعتقاد القدرة على إخضاع كل ظاهرة تاريخية أو بشرية لمقولات التحليل العقلى الخالص ، حتى ولو كانت "غيبية" تند عن التعليل والتحليل"(١).

وعجباً لهؤلاء المستشرقين الذين يغمضون أعينهم عن رؤية الحقائق البينة الماثلة أمام كل ذى لب وعقل ، فإن هذا الدين الإسلامى الذى سعدت به شعوب شتى ، وقامت به دول ، واستقامت به مجتمعات ، وظل طيلة هذه القرون صامداً فى وجه كل تحدى ، وعجزت الإنسانية أن توجد مثيلاً له ، لكماله وتمامه وسده لحاجات البشرية فى جميع جوانبها ، وصدق الله إذ يقول : {وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين}(٢)فهل يقصر كل ذلك على تصحيح وضع معين فى بيئة جاهلية يحدها الزمان والمكان؟ وهل التاريخ الذى لجأ إليه أولئك وجعلوه مقياساً للحكم من خلاله على دين الله الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، يقف سنداً لهم فى حكمهم ذاك؟

إن التاريخ يثبت بقاء هذا الدين ودوامه وصلاحه لكل عصر ومصر . فهلا نظروا إلى عصور الإسلام الزاهية ، عندما كان الغرب يغط فى نوم عميق ويحيط به ظلام دامس ، والمسلمون يعيشون الحضارة فى أوجها والسعادة فى قمتها ، فى ذلك الوقت الذى لجأ الغرب فيه إلى علوم المسلمين وثقافتهم ينهل من معينها ، فكانت له كالنافذة التى بدأ يبصر من خلالها نور الرقى والتقدم؟ أما كان الإسلام صالحاً لذاك الوقت ، الذى انحنت فيه أوربا ذليلة تستجدى مايضمن لها سعادتها وبقائها من ثقافة الإسلام وعلومه؟

---

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/١٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٠٧

أم كانوا ينظرون إليه فى ذلك الزمان بأنه صيحة إصلاحية لتصحيح وضع جاهلية قريش المحاطة بجبال مكة العالية ، حيث لامجال لنفوذ تلك الصيحة من خلال تلك الجبال؟

إنه حكم جائر ، وزعم مناف للصواب ، {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}(١).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا :

"فإذا فرضنا أنه يحتمل أن يكون شىء منها من تأثير الوراثة ، والبيئة والتربية ، وأن يكون قد تسرب إلى ذهنه بعض مسائلها من أفواه عقلاء قومه أو غيره ممن لقى فى أسفاره القليلة ، أو أنه فكر فى حاجة البشر إلى مثلها بما أدركه بذكائه الفطرى من سوء حالهم ، فهل يعقل أن تكون تلك الفلتات الشاردة ، وهذه الخطرات الواردة ، تبلغ هذا الحد من التحقيق ، والوفاء بحاجة الأمم كلها ، وأن تظل كلها مكتومة من سن الصبا ، وعهد حب الظهور إلى أن تظهر فى سن الكهولة بهذه الروعة من البيان ، وسلطان البلاغة على القلوب ، وقوة البرهان فى العقول ، فتحدث هذه الثورة فى الأمة العربية ، المغيرة لطباعها ، المبدلة لأوضاعها ، بحيث تسود بها شعوب المدنية كلها ، ويتلو ذلك ماقصه التاريخ من الانقلاب فى العالم كله بها"(٢).

ثم إن ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن لعلاج الفروق بين الأغنياء والفقراء فقط ، وإنما جاء بشرع متكامل فى كل جوانبه ، فجاء ببيان التوحيد الخالص والعقيدة الصافية من كل شوائب الشرك، كما جاء بإيضاح العبادات السامية التى تربط الإنسان بربه وخالقه ، وبين المعاملات التى تربط الإنسان بجميع أفراد المجتمع ، ورسم الأخلاق التى يسمو ويعلو من قام بها والتزمها ، فالإسلام جاء بكل مايصلح البشر ويضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٢،٣٣

(٢) الوحى المحمدى ص٣٤٣ .

وهنالك أحوال وحوادث غيبية كشف عنها الوحى مما لايمكن أن تؤخذ من بشر قط . ففى الماضى ، مافصل فيه من أخبار الأمم السابقة ومواقفهم من الرسل وغير ذلك . وفى المستقبل فيما أخبر به من حوادث ستقع فوقعت كما أخبر . وهذا لايمكن أن يتأتى لأحد من الخلق . وقد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين}(١).

والذى يستغرب له الإنسان ويستعجب منه أن يصل الأمر بالمستشرق (جريمى) أن ينفى النبوة عن النبى صلى الله عليه وسلم ويصفه بأنه داعية من دعاة الاشتراكية ، تلك الفلسفة المادية الالحادية الباطلة التى اقتلع الإسلام جذورها وبين فسادها وضلالها ، إن (جريمى) لايدرى مايخرج من رأسه أن يصل به السخف والسذاجة إلى هذا الحد(٢).

---

(١) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٦٣،٢٦٤ .
والآية هى ٤٩ من سورة هود .

(٢) انظر : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٧/١ .

(٣) أن الوحى عبارة عن أمراض عقلية ونفسية :

ذهب بعض المستشرقين إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية والنفسية التى أثرت عليه تأثيراً بالغاً ونتج من تلك الآثار ماادعى أنه وحى من الله .

قال جولد زيهر :

"وفى خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجتريها فى قرارة نفسه ، وهو منطو فى تأملاته أثناء عزلته ، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة والتى يلمح فيها أثر حالته المرضية ، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين"(١).

ولكن ماحقيقة هذه الأمراض ومانوعيتها؟

يجيب على ذلك عدد من المستشرقين مع تباين تشخيصاتهم .

زعم الويز شبرنجر(٢)، وجوستاف فايل(٣)وغيرهم أنه كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة ، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم ، ويتصبب عرقاً ، ويثقل جسمه(٤).

---

(١) العقيدة والشريعة ص٧ .

(٢) الويز شبرنجر :

هو ابن كرستوفر شبرنجر . مستشرق نمسوى ، يجيد كثيراً من اللغات ، وله المام بالأدب الشرقى . مات سنة ١٨٩٣م .

من آثاره : "حياة محمد" ، وقد نشر بعض الكتب العربية مثل "الإصابة فى تمييز الصحابة" ، "الإتقان فى علوم القرآن" .

انظر : الأعلام ٨/٢ ، المستشرقون ٦٣١/٢-٦٣٢ .

(٣) جوستاف فايل :

مستشرق ألمانى ، له كتاب مدخل تاريخى نقدى إلى القرآن . مات سنة ١٨٨٩م .

انظر : آراء المستشرقين ٢٢٩/١ .

(٤) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن ٣٩٨/١ .

وتعتريه التشنجات ، وتخرج منه الرغوة . فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه وتلا على أتباعه مايزعم أنه وحى من الله(١).

وبعضهم اعتبرها حالة هستيرياً ، وتهيجاً عصبياً ، يظهر عليه أثرها فى مزاجه العصبى القلق ، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض ، حتى كان يصل به الأمر أن لايفرق بين تعاقب الليل والنهار ، وقد هزل على إثرها جسمه ، وشحب لونه ، وخارت قواه(٢).

ويذهب المفكر الفرنسى جوستاف لبون (٣)إلى أنه نوع من الهوس(٤)، فيقول :

"ونرى محمداً الثاقب النظر من الناحية العلميةمن ذوى الهوس ، كما هو شأن أكثر مؤسسى الديانات ، وليس فى ذلك مايحط من قدره ، فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين أنشأوا الديانات وقادوا الناس ، وإنما أولو الهوس هم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول ، وأثاروا الجموع ، وذللوا الصعاب . ولو كان القصد لاالهوس ، هو الذى يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر"(٥).

وزعم نولدكه(٦)بأنها نوبات انفعالية طاغية ، حيث يقول :

---

(١) الإسلام والمستشرقون ص٢٠٢ .

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن ٣٩٨/١ ، نقلاً عن مقدمة القرآن لمونتجمرى وات ص١٧-١٨ ، ومقدمة القرآن لبل ص٢٩-٣٠ .

(٣) جوستاف لبون :
لم أقف له على ترجمة .

(٤) الهوس : بالتحريك ، طرف من الجنون ، ويرادفه المس .
انظر : المعجم الفلسفى ٥٢٦/٢-٥٢٧ ، القاموس المحيط ص٥٧١ .

(٥) حضارة العرب ص١٢٦-١٢٧ .

(٦) نولدكه :
هو تيودور نولدكه شيخ المستشرقين الألمان ، وكانت له مكانة بين المستشرقين عامة يحسن اللغات الشرقية . مات سنة ١٩٣٠م .
من آثاره : "تاريخ القرآن" ، "حياة النبى محمد"، "دراسات لشعر العرب القدماء"
انظر : الأعلام ٩٦/٢ ، المستشرقون الألمان ص١١٥-١٢٤ ، المستشرقون ٧٣٨/٢-٧٤٠ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١٨٥/١ .

"وكانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيجة والإلهامات المباشرة للحس أكثر من أن تأتى من التفكير النابع من العقل الناضج ، فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه ... مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة"(١).

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن ٣٨٧/١ ، نقلاً عن تاريخ القرآن لنولدكة ٥/١ .

ويجاب على ذلك :

هـذا أيضـاً نشـأ من التصور الخاطـىء والفهـم السقيم لحقيقـة الـوحى والنبوة ، والعجز التام عن معرفة العلاقة التى تربط بين جبريل الملك ومحمد النبى عليهمـا السلام ، ومايظهـر من آثار على النبى صلى اللـه عليه وسلم من تلك العلاقة(١).

فتلـك ظـاهرة لاتخضـع للعلـوم التجـريبية والتحليلات النفسيـة ، أو الاستنتاجات العقلية لعجز البشر عن إدراك كنهها وحقيقتها .

يقول د. التهامى نقرة :

"فـوصف ظـاهرة الوحى الإلهـى، وماكان يعترى النبى عنـد تلقيـه من حالـة خاصـة ناشئة عن انسلاخه مـن البشرية الجسمانيـة ، واتصـاله بالملكية الروحانية بالهوس أو الصرع أو نحو ذلك من الانحرافـات النفسية على ضوء التحليـل النفسى جهل خطير بحقيقـة النبوة . وهل يكفـى لصنف من العلوم أن يصـل إلى حد من الدقة والتطـور ، بحيث تفرض طـريقته فى البحث على الميـادين الأخرى ، وينتصـب معيـاراً؟ إن تطـور منهج مـن المنـاهج العلميـة لايعطى كمعيار خارج ميدانه"(٢).

إن المستشـرقين كـالببغاوات يرددون شبـه إخوانهـم أعـداء الأنبيـاء والـرسل الـذين جعلـوا مايحصـل لأنبيـاء الله مثل الـذى يحصـل للمجـانين والسحرة كما قال تعالى : {كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون . أتواصوا به بل هم قوم طاغون}(٣).

---

(١) انظـر : الإسلام والمستشـرقون ص٢٢٩ ، منـاهج المستشرقين فى الـدراسات العـربية الإسلامية ٢٨/١ .

(٢) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٨/١-٢٩ .

(٣) انظر : كتاب النبوات ص٢٥٠ .
والآيات هى ٥٣،٥٢ من سورة الذاريات .

وهى عين الفرية التى رمت بها قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه الله مما قالوا ، بقوله سبحانه وتعالى :

{فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون}(١).

وقد ضلوا بذلك وانحرفوا عن الحق فمثلهم كمثل من ضل الطريق وتشعبت عليه السبل فيأخذ يميناً وشمالاً ولايهتدى أبداً ، كما قال سبحانه : {انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلايستطيعون سبيلاً}(٢).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : {هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون}(٣) يقول :

"يقول تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين أن ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بحق وأنه شىء افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به رءى من الجان ، فنزه الله سبحانه جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه أن ماجاء به إنما هو من عند الله وأن تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين ... وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة"(٤)

أرأيت كيف يردد المستشرقون شبهة عفا عنها الدهر وطوتها السنون وبين الله فسادها قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ثم جاءوا يلوكونها ويدندنون بها تشويهاً للإسلام وتشكيكاً فى نبيه صلى الله عليه وسلم (٥).

وهل ياترى يغيب الفرق بين العاقل والذى اختل عقله؟

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٧٩/١ فى رميهم النبى بالجنون .
والآية هى ٢٩ من سورة الطور .

(٢) انظر : كتاب النبوات ص٣١٤ ، تفسير القرآن العظيم ٣١٠/٣ .
والآية هى ٩ من سورة الفرقان .

(٣) سورة الشعراء : آية ٢٢١-٢٢٣

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٥٢/٣-٣٥٣ .

(٥) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٢٨ .

إن التسوية بينهما من التسوية بين الأضداد المختلفة التى يستحيل أن يختلط أمرها على عاقل ، إن الذى يجعل العاقل مجنوناً كالذى يجعل المجنون عاقلاً ، وهذا من أبطل الباطل ، فكيف يجعل النبى الذى هو أكمل البشر عقلاً مجنوناً ، سبحانك هذا بهتان عظيم(١).

وهل يعقل أن تصدر كل هذه الشرائع السامية الرفيعة والتشريعات التى حلت أعتى مشاكل الحياة ، بل وهذا القرآن الذى أعجز عقلاء البشر . عن رجل خولط عقله فلايعى مايقول؟

قال د. حسن عتر :

"ولو نظرت فى الشريعة الإسلامية ومافيها من حكم ومواعظ وأحكام تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلاً هل يصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون واختلال المشاعر؟ ومتى كان الجنون منبع الحكمة ، والفساد مصدر الخير؟ ثم انظر فى سيرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم هل تراه كان مبتلى بالغفلة والبلاهة فيتراءى له مايتراءى؟ تراه بنى مجتمعاً قوياً على دعائم وطيدة ، وقاد معارك النصر والظفر ،وأسس دولة على أسس منيعة منحتها قوة للاتساع بعده من جبال الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً؟

إن محمداً وكافة الرسل قبله ، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفطنة قبل النبوة وبعدها . يعترف لهم بهذا أتباعهم وأعداؤهم على السواء .

وهنا نتيقن أن مثله فى نباهته ويقظته وذكائه لاتختلط عليه الأمور ولاتقلبه الأوهام والهواجس"(٢).

لقد كان صلى الله عليه وسلم أكمل الرجال عقلاً ، وأشدهم فطنة ، وأصوبهم قولاً ، وأحكمهم فعلاً . وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً أو اختلال عقل ، وذلك فى

---

(١) انظر : كتاب النبوات ص٢٣٦ .

(٢) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٢٧ .

قوله : {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد}(١).

يقول ابن كثير رحمه الله :

"يقول تبارك وتعالى قل يامحمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون {إنما أعظكم بواحدة} أى إنما آمركم بواحدة وهى "أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة" أى تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولاعصبية فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً (ثم تتفكروا) أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه . ويتفكر فى ذلك"(٢).

وقال القاسمى رحمه الله :

"وقوله تعالى : {مابصاحبكم من جنة} أى جنون . مستأنف منبه لهم على أن ماعرفوه من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه . والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بـ(صاحبهم) للإيماء أن حاله معروف مشهور بينهم ، لأنه نشأ بين أظهرهم معروفاً بقوة العقل ، ورزانة الحلم وسداد القول والفعل"(٣).

وأما زعمهم بأنه مصاب بالصرع، فهذا زعم باطل وخطأ علمى فاحش فإن أعراض الصرع تختلف كل الاختلاف عما كان يعترى النبى صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحى . فالصرع مرض مصحوب باصفرار الوجه وبرودة فى الأطراف ، واصطكاك فى الأسنان ، ويتعطل تفكير المصروع وإدراكه تماماً ويدخل فى غيبوبة كاملة ، فلايدرى أثناء نوبته مايدور حوله ، وتعتريه تشنجات ، وينسى ماحدث له خلال ذلك نسياناً تاماً ، وهذا بخلاف أمره صلى الله عليه وسلم ، فلايظهر عليه شىء مما ذكر من أعراض هذا

---

(١) سورة سبأ : آية ٤٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٥٤٣ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣١١-٣١٢ .

(٣) محاسن التأويل ١٤/٤٩٦٦ .

المرض عند نزول الوحى عليه ، بل يظل فى تمام وعيه وكامل قوته العقلية ، قبل وأثناء وبعد الوحى ، كما قال فى حديثه : "فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال"(١)(٢).

وقد كان جبريل عليه السلام يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الرجل فيحادثه أمام جمع من الحضور وهم يشاهدون ذلك كما ثبت ذلك من حديث عمر(٣)وعائشة(٤)رضى الله عنهما .

لقد عاش النبى صلى الله عليه وسلم طيلة حياته فى صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة ، لم يطرأ عليه أى خلل فى عقله أو أعصابه فى يوم من الأيام ، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال .

وليس أدل على انتفاء هذه الفرية وبطلانها ، من كفاحه المرير فى سبيل نشر دعوته ، ومن سياسته الحكيمة وخططه الحربية وتنظيماته

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخارى فى صحيحه . من حديث عائشة رضى الله عنها كتاب بدء الوحى (١) ، باب (٢) ، ١/٢-٣ ، وفى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٨٠/٤ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب عرق النبى صلى الله عليه وسلم فى البرد (٢٣) برقم ٢٣٣٣ ، ١٨١٦/٤-١٨١٧ .
فيفصم : أى يقلع . والفصم هو أن يتصدع الشىء فلا يبين .
النهاية ٤٥٢/٣ ، وانظر : الفائق ١٢٢/٣ .

(٢) انظر : النبأ العظيم ص٧٢ ، محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص١١٣-١١٤ ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ٤٠١/١ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بيان الإيمان والإسلام (١) برقم ٨ ، ٣٦/١-٣٨ . وهو حديث سؤال جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان .

(٤) روى البخارى بسنده إلى مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها فأين قوله : {ثم دنا فتدلى.فكان قاب قوسين أو أدنى} (سورة النجم : آية ٨،٩) قالت : ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة رجل وإنه أتاه هذه المرة فى صورته فسد الأفق" .
كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين (٧) ، ٨٤/٤ .

الاجتماعية ، فلو كان مصاباً بالانهيار العصبى كما يزعمون ، فهل يقوى على مثل هذا النضال الطويل وهل يؤثر عنه تلك السياسة البارعة والتنظيمات الدقيقة(١).

يقول الأستاذعبد الكريم الخطيب :

"أمجنون مصروع يبنى دولة ، وينشىء نظاماً ، ويقيم دنيا ، ويعيش فى أجيال الناس منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل؟ أمجنون مصروع يثبت لهذه العواصف العاتية المزمجرة وحيداً فى وجه أمة صحراوية النفوس صخرية الطباع ثم لايكون منه فى حال من الأحوال تخاذل أو ضعف حتى يحول هذه العواصف إلى أنسام عليلة وريح رخاء"(٢).

يقول المستشرق ماكس مايرهوف(٣):

"أراد بعضهم أن يرى فى محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبى أو بداء الصرع ، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شىء يدل على هذا كما أن ماقام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول"(٤).

وأما زعمهم بأنه مصاب بمرض الهستريا وهو مرض عصبى عضال ، وراثى يكثر فى النساء ، من أعراضه شذوذ فى الخلق ، وضيق فى التنفس

---

(١) انظر : الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٥٥ .

(٢) النبى محمد ص١٣٩ .

(٣) مستشرق ألمانى . من كبار أطباء العيون العالميين ، وفى طليعة مؤرخى الطب العربى ، تعد اكتشافاته فيه وكتابته عنه ، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية مرجعاً دقيقاً وافياً . سكن مصر وانتخب نائباً لرئيس المعهد المصرى والجمعية الطبية المصرية . توفى بالقاهرة سنة ١٩٤٥م .
من آثاره : "فصلاً فى حياة حنين بن إسحاق" . نشر "شرح أسماء العقار" لموسى ابن عبد الله القرطبى وغير ذلك .
انظر : المستشرقون ٢/٧٦٦-٧٦٨ ، الأعلام ٥/٢٥٦-٢٥٧ .
وانظر ترجمته فى : المستشرقون الألمان ص١٤١-١٤٤ .

(٤) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٥٥ .
نقلاً عن : الإسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب ص١٦٢ ، والقرآن والمستشرقون ص٢٦-٢٧ .

والصدر ، واضطراب فى الهضم ، وقد يحدث اضطراباً فى اليدين والرجلين ، إلى حد الشلل فى بعض أعضاء المريض ، فإذا تقدم المرض وصل إلى حالة من التشنج يسبقها بكاء وهذيان ، وقد يصل إلى حد الإغماء ، وقد يستمر الحال بالمريض حتى يرى أشباحاً وأعداء تحاربه وتقاتله ، ويسمع أصواتاً لاحقيقة لها ، فيتحرك حركات مضطربة ، ويقفز من مكان إلى آخر بصورة مرعبة(١).

فهذا الزعم لايستند إلى الحقيقة بأى وجه من الوجوه ، وواقع النبى صلى الله عليه وسلم وحاله يشهد ببطلان ذلك ، وبراءته عنه ، فهو صاحب الطبع الرصين ، والنفس الهادئة ، والخلق الحسن ، وكان صلى الله عليه وسلم صبوراً عند الغضب ، حليماً عند المقدرة ، وكيف لايكون كذلك وهو الذى قالت عنه عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه ، فقالت : "فإن خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"(٢). وفى حديث معاوية بن الحكم السلمى عندما تكلم فى الصلاة ، قال : "فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبى هو وأمى! مارأيت معلماً قبله ولابعده أحسن تعليماً منه . فوالله ماكهرنى(٣)ولاضربنى ولاشتمنى . قال : "إن هذه الصلاة لايصلح فيها شىء من كلام الناس . إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"(٤).

فهل يعقل لمن اتصف بهذه الخصال الكريمة والسجايا الحميدة أن يكون مصاباً بمرض يحدث الرعب فى قلب من يراه؟

---

(١) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن ص٤٠٢-٤٠٣ ، المعجم الفلسفى ٥٢٠/٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين (٦) ، باب جامع صلاة الليل (١٨) برقم ١٣٩ ، ٥١٣/١ .

(٣) كهرنى : أى نهرنى . يقال كهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس .
انظر : الفائق ٢٨٨/٣ ، النهاية ٢١٢/٤ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ، باب تحريم الكلام فى الصلاة (٧) برقم ٥٣٧ ، ٣٨١/١-٣٨٢ .

إن المستشرقين لم يجدوا مايتشبثون به من مطاعن حول نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ، فراحوا يهرفون بما لايعقلون ، وينعقون بما لايدرون ، فكانت مزاعمهم أضحوكة للولدان ، يعرف فسادها كل من وقف عليها ، إلا من طمس الله بصيرته فلايعى ولايفقه . {ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً}(١).

وأما زعم لبون أنه مصاب بالهوس ، فالجواب عما سبق جواب عنه ولكن من المستحسن أن نورد ماذكره د. التهامى نقرة فى رده عليه إذ يقول :

"أليس من مجازفة القول أن يعد "لبون" محمداً صلى الله عليه وسلم من المتهوسين ، ولم يثبت تاريخياً قبل البعثة ولابعدها ، أنه كان من ذوى الوساوس أو السلوك الشاذ والتصرف الغريب ، أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية التى لابد لها من انعكاسات وردود فعل . ألم تشهد خديجة وتعرفه بحقيقته لما جاءه الحق وهو فى غار حراء لتدفع عنه الخوف مما رأى وسمع؟

"كلا والله لايخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق"(٢).

فما أبعد هذا الكمال الإنسانى عن الهوس الذى قد يملى على صاحبه مواقف غريبة ، وأفعالاً ينبو عنها الذوق السليم!

ولكنه الجهل بحقيقة الدين واستعمال منهج النقد العلمى فى موضوعه ويقول :

"وهل الذين آمنوا به منذ أربعة عشر قرناً واتبعوا الدين الذى جاء به - من قادة الفكر على امتداد العصور - كلهم أغبياء مغرورون ، لم يميزوا بين الحق والباطل ، والصدق والكذب؟

والعلم وحده لايستطيع أن يقدم تفسيراً مقنعاً لهذا التحول الجذرى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا على ضوء الإيمان بما تضمنه هذا الوحى

---

(١) سورة الكهف : آية ١٧

(٢) سبق تخريج الحديث . انظر ص ٣٦٢

السماوى الذى ظل يقودها على مايزيد من عشرين عاماً ولم يخلف ماوعده ، ولاكذبه فيما أخبر به من أنباء الغيب .

وأى فرق بين تقولات المشركين فى الجاهلية وتفسيرهم لظاهرة الوحى عندما ينزل على الرسول ، ومايناله عند التلقى من جهد وعناء بالجنون أو السحر تارة ، وبالشعر أو الكهانة أخرى ، وبين تفسير المستشرقين الأكاديميين للوحى من الوجهة النفسية أو العقل الباطن أو نحو ذلك مما اخترعوه وانتحلوه كالهوس الذى يزعمه لبون"(١).

وكونه مصاباً بنوبات انفعالية تطغى عليه وتسيطر عليه كما يدعى "نولدكه" ، فتلك شبهة لاتخرج عما سبق ذكره فى شأن الوحى النفسى ، فليس هنالك انفعالات ولاهيجان أحاسيس عند نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم ، بل يكون فى قمة الهدوء وسلامة الأعصاب ورزانة الطبع لاكما يقول "نولدكه"(٢).

---

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٢٩، ٣٠ .

(٢) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن العظيم ١/٣٨٩ .

(ب) المحور الثانى :

وهو أن الوحى أمر خارج عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أيضاً مفسر عندهم بعدة تفسيرات :

(١) **أن الوحى مقتبس من اليهودية والنصرانية :**

لقد زعم المستشرقون أن الوحى انبثق فى الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية ولكن محمد كيفه تكيفاً بارعاً وفقاً لمتطلبات شعبه الدينية(١).

ويشرح لنا جولد زيهر كيف تم له ذلك ، وكيف أصبحت تعاليم اليهودية والنصرانية وحياً تبناه محمد صلى الله عليه وسلم يقول :

"فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهوديةوالمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى وطنه ، وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت فى رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة فى الاتجاه الذى تريده الإرادة الإلهية.

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بايحاء قوته التأثيرات الخارجية ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً ، فأصبح - بإخلاص - على يقين بأنه أداة لهذا الوحى "(٢).

وقد وصل الأمر ببعضهم وهو ماحكاه فيليب حتى ، أن زعموا أن الإسلام برمته بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً(٣).

ولم يخف جولد زيهر قوله فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تتلمذ على رهبان النصارى وأحبار اليهود الذين كانوا أساتذة له(٤).

---

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦٩ .
(٢) العقيدة والشريعة ص٥-٦ الأولى .
(٣) انظر : تاريخ العرب ١٧٦/١ .
(٤) انظر : العقيدة والشريعة ص١٣-١٤ الأولى .

وكيف تم له الاتصال بأولئك؟

يرى بروكلمان أن ذلك تم من خلال رحلاته(١).

ويضيف جولد زيهر أن ذلك تم أيضاً عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة ، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية(٢).

وقد حاول المستشرقون إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الاثنين معاً(٣).

فبعد أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ووجد بعض قبائل اليهود يقطنونها ، وطمع فى إسلامهم فأصبح يجاريهم فى شعائرهم ليوفق بين الدينين اليهودى والإسلامى .

قال بروكلمان :

"وتأثرت اتجاهات النبى الدينية فى الأيام الأولى من مقامه فى المدينة، بالصلة التى كانت بينه وبين اليهود . وأغلب الظن أنه كان يرجو ، عقب وصوله إلى المدينة ، أن يدخل اليهود فى دينه . وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم فى بعض المناحى .

فشرع صوم العاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم ، على غرار الصوم اليهودى فى يوم الكفار الذى يقع عندهم فى العاشر من شهر تشرى ، وبينما كان المؤمنون فى مكة لايصلون إلا مرتين فى اليوم ، أدخل فى المدينة على غرار اليهودية أيضاً ، صلاة ثالثة عند الظهر ... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار "السبت" اليهودى ، ولكنه خالف اليهود حين سمح للمؤمنين بأن ينصرفوا فى ذلك النهار ، إلى شؤونهم الدنيوية ، قبل أداء الصلاة وبعدها"(٤).

---

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٤ .

(٢) العقيدة والشريعة ص١٨ الأولى .

(٣) انظر : العقيدة والشريعة ص١٧-١٨ الأولى ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٧-٤٨ ، ٧١، ٧٩ ، تاريخ العرب ص١٨١، ١٨٢، ١٨٣ ، ملوك الطوائف ص٤٠٥ .

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٦-٤٧ .

وقد ادعى بعض المستشرقين أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ تعاليم الوحى عن بعض الشخصيات النصرانية ، من أولئك :

(أ) بحيرى الراهب(١):

قالوا : إن محمداً لقى بحيرى فى مدينة بصرى (٢)بالشام ، وكان نسطورياً(٣)من أتباع آريوس(٤)فى التوحيد ، وينكر الوهية المسيح وعقيدة التثليث (٥)، وكان عالماً فلكياً منجماً وحاسباً وساحراً ، فتعلم منه محمد

---

(١) بحيرى :
راهب . قيل إنه كان يهودياً من يهود تيماء ، وقيل : كان نصرانياً من عبد القيس يقال له جرجس . لقيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .
انظر : أسد الغابة ١٩٩/١ ، البداية والنهاية ٢٢٩/٢-٢٣٠ ، الإصابة ١٧٦/١-١٧٧ .

(٢) بصرى : موضع بالشام وهى التى وصل إليها النبى صلى الله عليه وسلم فى رحلته مع عمه .
انظر : معجم البلدان ٤٤١/١ ، مراصد الاطلاع ٢٠١/١ .

(٣) نسطور هو بطريرك الاسكندرية سنة ٤٣١م . وهو الذى قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان ، فهى بذلك أم الإنسان وليست أماً لإله ، وأتباعه هم النساطرة ، ومذهبهم وضع الأساس للقول بطبيعتين فى المسيح .
انظر : الموسوعة الميسرة ص٥٠٢-٥٠٣ ، الملل والنحل ٢٢٤/١ .

(٤) آريوس : كان قسيساً بالاسكندرية . وكان فى زمن قسطنطين الأول . وهو القائل بأن الله واحد ، سماه أباً، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل خلق العالم ، وهو خالق الأشياء، وزعم أن لله روحاً مخلوقة أكبر من سائر الأرواح ، وأنها واسطة بين الأب والابن ، تؤدى إليه الوحى . وقد تبرأ منه النصارى لمخالفته لهم فى مذهب التثليث .
انظر : الملل والنحل ٢٢٧/١-٢٢٨ ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٤٨/١ ، الموسوعة الميسرة ص٥٠٢ .

(٥) عقيدة التثليث :
وهى الركن الأول الذى يبنى عليه النصارى عقائدهم . ومع اختلاف مللهم إلا أنهم مجمعون على التثليث . وهواعتقاد وجود ثلاثة آلهة وهى الأب (الله) والابن (عيسى) وروح القدس (جبريل) أو هى الأب والابن ومريم . ويقررون ذلك بما يسمى الأقانيم الثلاثة،والأقنوم يطلق على الجوهر والأصل والشخص . ويفسرونه بأنه وحدانية فى تثليث ، وتثليث فى وحدانية . وبين فرق النصارى اختلاف شديد فى تقرير ذلك . =

عقيدته ، بل زعم بعضهم أنه كان مصاحباً له بعد رسالته ، وأن محمداً ماحرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيرى وهو سكران(١).

(ب) ورقة بن نوفل(٢):

قال الحداد(٣):

"والسر الكبير فى ثقافة محمد الكتابية والإنجيلية وجود العالم المسيحى ورقة بن نوفل من بنى أسد ابن عم السيدة خديجة فى جوار النبى ، وهو الذى زوجه ابنة عمه ، فقد أجمعت الآثار على أن ورقة تنصر ، وكان يترجم التوراة والإنجيل إلى العربية ، فهو إذن عالم مسيحى كبير ، وقد عاش محمد فى جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه . ألا تكفى هذه المدة لنابغة العرب محمد بن عبد الله لكى يأخذ عنه شيئاً من علوم التوراة والإنجيل ؟"(٤)

وقال وات :

= انظر : الشامل فى أصول الدين ص٥٧٥-٥٧٦ ، الملل والنحل ١/٢٢٦-٢٢٧ ، الموسوعة الميسرة ص٥٠٣-٥٠٤ ، عقيدة التثليث والصلب وموقف الإسلام منها ص٧٦١ ، تحفة الأريب فى الرد على الصليب ص١٥٥-١٥٦ ، العلمانية نشأتها وتطورها ص٣٨ .

(١) الوحى المحمدى ص٩٥-٩٦ بتصرف .

(٢) ورقة بن نوفل :

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الأسدى ابن عم خديجة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم . قرأ الكتب السابقة وتنصر . أقر بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه مات قبل الدعوة على الصحيح ذكره جماعة من العلماء فى الصحابة .

انظر : أسد الغابة ٥/٤٤٧-٤٤٨ ، البداية والنهاية ٣/٩-١١ ، الإصابة ٤/٦٣٣-٦٣٥ .

(٣) الحداد :

لم أقف له على ترجمة .

(٤) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٣٧ نقلاً عن القرآن والكتاب للحداد ٢/١٠٥٩-١٠٦٠ .

"من الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة ، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة"(١).

(ج) الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة :

قال الحداد :

"ونجد فى المدينة فى معية النبى حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام ، نجد بلالاً الحبشى مؤذن النبى ، وصهيباً الرومى المسيحى الثرى ، وسلمان الفارسى المسيحى الأصل ، وعبد الله بن سلام اليهودى الوحيد الذى أسلم فى المدينة مع كعب الأحبار . وهل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل؟ إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبى والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها ، وإن ثقافة محمد والقرآن كتابية فى كل مظاهرها ، وذلك بمعزل عن الوحى والتنزيل"(٢).

---

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٣٧-٣٨ .

(١) المرجع السابق ١/١٥٠ .

ويجاب عن ذلك بما يلى :

هذه أقوال ومزاعم عارية عن الصحة لم تستند إلى دليل ، ولم تقم على أساس ، وإنما بنيت على التشكيك والتعصب كمزاعمهم السابقة ، وقد تضافرت الأدلة على بطلانها وعدم صحتها ، وإليك طرفاً من ذلك :

(١) لو تلقى صلى الله عليه وسلم شيئاً عن أهل الكتاب لنقل ذلك أتباعه الذين كانوا أحرص الناس على نقل أخباره وآثاره صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لم يفعلوا فعلم فساده(١).

(٢) لو ثبت ماذكر لاتخذه أعداؤه من المشركين حجة لهم للنيل منه والطعن فيه ، وهم الذين تعلقوا بأوهى الشبه وأضعفها كزعمهم أنه تعلم ذلك وتلقاه من رومى حداد أعجمى ، فرد الله عليهم بقوله : {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين}(٢).

ولكان اليهود والنصارى أعرف الناس بهذا ، ولما سكتوا أبداً ، وهم الذين بذلوا كل مايملكون من جهد للنيل من هذا الدين وإخماد أنفاسه ، وقد كانت هنالك علاقة تربطهم مع المشركين ، وقد التقوا سوياً فى عداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف صبروا على ذلك؟ ولماذا لم يخبروا أصدقاءهم بهذا المطعن الخطير ، ولماذا لجأوا إلى عرض الأسئلة عليه صلى الله عليه وسلم للتثبت من نبوته وهم يعلمون أن دينه مأخوذ من دينهم؟(٣)

إن الذى يريد أن ينقد أمراً معيناً عليه قبل ذلك أن ينظر إلى مايترتب على نقده من ملابسات ومعارضات حتى لايصبح نقده نقداً عليه

---

(١)،(٢) انظر : الوحى المحمدى ص١٢٢ .
والآية هى ١٠٣ من سورة النحل .

(٣) انظر : الإسلام والمستشرقون ص٢٠٦ .

وطعنه طعناً فيه كهؤلاء المستشرقين الذين ينقدون نقداً مكشوفاً ويكذبون كذباً واضحاً لايخفى على من له أدنى مسكة من عقل .

(٣) إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يثبت له أن رأى التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ فيهما وهو الأمى الذى لايعرف قراءة ولاكتابة(١).

ولم يثبت عنه أنه تلقى عن أحد من علماء اليهود أو النصارى أو غيرهم ، والذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من الأخذ عنهم(٢).

بل ونصوص القرآن صريحة فى أنه لم يكن يعرف شيئاً من أخبار الرسل وقصصهم قبل أن يأتيه الوحى ، قال له سبحانه وتعالى عقب قصة نوح عليه السلام : {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين}(٣). وقال عقب قصة يوسف عليه السلام : {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون}(٤). وقال عقب قصة موسى عليه السلام : {وماكنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وماكنت من الشاهدين. ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وماكنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين}(٥).

وقال عقب قصة زكريا عليه السلام وولادة مريم : {ذلك من أنباءالغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون}(٦).

---

(١) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص١٣٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص٢٢١ ، مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١٦٥/١ .

(٣) سورة هود : آية ٤٩

(٤) سورة يوسف : آية ١٠٢

(٥) سورة القصص : آية ٤٤،٤٥

(٦) انظر : الوحى المحمدى ص١٢٣ . والآية هى ٤٤ من سورة آل عمران .

ولـو ثبت أنه اطلع على تلك الكتب لردها لما فيهـا من باطل وانحراف عن الحق ، وقد شهد بذلك منصفوهم .

قال المفكر الفرنسى الكونت هنرى دى كاسترى :

"ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبى محمد من مطالعة التوراة والإنجيل (يعنى قبل بعثته) إذ لو قرأ تلك الكتـب لردها ، لاحتوائها على مـذهب التثليـث ، وهو منـاقض لفطـرته ومخالف لـوجدانه عنـد خلقته. فظهـور هذا الاعتقاد فى جزيرة العـرب بواسطة محمد دفعـة واحدة هـو أعظم مظهـر فى حيـاته كما أنه بذاته أكبر دليـل على صدقه فى رسـالته وأمـانته فى نبوته"(١).

(٤) لقـد كشف الله بهذا الوحى الـذى أنزله على الرسـول صلى الله عليه وسلم أسرار أهل الكتاب ، وفضحهم ، وهتك أستارهم ، وبين انحراف عقـائدهم ، وناصبهـم العـداء ، وذمهـم ذماً منكـراً ، وذلـك فى آيات كثيرة منهـا قـوله تعالى : {أفتطمعـون أن يؤمنوا لكـم وقـد كان فريق منهـم يسمعـون كلام اللـه ثم يحرفـونه مـن بعـد مـاعقلوه وهـم يعلمون}(٢).

وقـال سبحانه : {ياأهل الكتـاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقـولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسـى ابن مـريم رسول الله وكلمتـه ألقـاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسـله ولاتقولواثلاثة انتهوا خيراً لكـم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفـى بالله وكيلاً}(٣).

وقال سبحانه : {قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عنـد الله من لعنه اللـه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبـد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواءالسبيل}(٤).

---

(١) الإسلام والمستشرقون ص٣١٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٧٥ ، وانظر الآيات بعدها .

(٣) سورة النساء : آية ١٧١

(٤) سورة المائدة : آية ٦٠ ، وانظر الآيات بعدها إلى ٨١ .

وقال تعالى : {فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين}(١).

فلو أنهم كانوا معلمين له صلى الله عليه وسلم لمدحهم وجاملهم وتودد إليهم وتقرب منهم ، ولم يقف منهم هذا الموقف العدائى ، حتى لايفضحوا أمره ، ويكشفوا حاله(٢).

(٥) أين هذه الرحلات التى يتكلم عنها جولد زيهر وبروكلمان والتى التقى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بأحبار اليهود ورهبان النصارى وأخذ عنهم؟ ومتى كانت؟ وأين تم هذا اللقاء؟ وكم مدة قضاها ليتلقى تلك الدروس حتى يهضمها ويستوعبها؟ ومن هم الذين أخذ عنهم؟ وماذا أخذ؟

أسئلة يعجز المستشرقون عن إجابتها ، لأنها لاإجابة لها البتة ، إذ الإجابة عنها من صنع الخيال ، وترهات الأفكار .

إن النبى صلى الله عليه وسلم لم تثبت له إلا رحلتان كلتاهما إلى الشام إحداها مع عمه أبى طالب فى تجارة له وهو طفل صغير ، وقد أعاده عمه إلى مكة قبل إتمام رحلته ، والثانية فى تجارة لخديجة بنت خويلد رضى الله عنها وهو شاب فى الخامسة والعشرين من عمره صحبة غلامها ميسرة، ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى فى المرتين ، ولم يذهب يتعلم وإنما ذهب ليتاجر ، ومعه من يصحبه فى الرحلتين ، ولم يذكروا شيئاً من ذلك أبداً . ولماذا سكت طيلة هذه الفترة من عمره حتى أظهر ذلك عندما بلغ الأربعين ، وتلك مدة كافية لنسيان ماحصل عليه عرضاً؟(٣)

---

(١) سورة المائدة : آية ١٣ ، وانظر الآيات بعدها حتى آية ١٨ .

(٢) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٩، ٤٣٠ .

(٣) انظر : الوحى المحمدى ص١٠١ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢١٦ .

(٦) إن الدين اليهودى والمسيحى لم يكونا نافقين ذلك الحين فى جزيرة العرب ، لعدم تقبل العرب لهما لما فيهما من التعقيد والغموض والقومية والتعصب المقيت .

يقول المستشرق دوزى (١):

"أما فى أواسط بلاد العرب ، وفى قلب جزيرتهم حيث نبتت جرثومة (٢) العربى القح (٣) وأرومته (٤)، فلم تنجح فيها الدعاية للدين المسيحى ، ولم نكن لنرى ثم إلا أثراً ضعيفاً له - إن لم نقل معدوماً .

وكان المسيحية فى ذلك الزمن - على وجه عام - بما تحويه من معجزات وبما فيها من عقيدة التثليث ، ومايتصل بذلك من رب مصلوب - قليلة الجاذبية ، بعيدة عن التأثير فى نفس العربى الساخر الذكى"(٥).

وقال : "وقد صارت اليهودية نفسها - فى زمن ما - دين اليمن الرسمى . على أنها ضعفت - على مرور الزمن - وقل إقبال العرب عليها ، لأن اليهودية لاتلائم إلا شعباً مختاراً ، أما أن تكون ديناً عاماً للناس قاطبة فلا! ذلك أنها ملأى بالشكايات والآمال الغامضة التى تعلق بها اليهود بعد أن خرب "بيت المقدس" وليس هذا مما تلائم طبيعته الشعب الطموح إلى المجد"(٦).

---

(١) دوزى :

هو رينهارت بيتر آندوزى ، مستشرق هولندى ، من أصل فرنسى . بروتستانتى المذهب ، كان من أعضاء عدة مجامع علمية ، وتعلم عدة لغات . عين أستاذاً للعربية فى جامعة ليدن . مات سنة ١٨٨٣م على خلاف فى ذلك .

من آثاره : "معجم دوزى" ، "تاريخ المسلمين فى أسبانية" ، "ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام" وغيرها .

انظر : الأعلام ٣٩/٣ ، المستشرقون ٦٥٨/٢-٦٦٠ .

(٢) جرثومة الشىء : أصله . القاموس المحيط ص١٤٠٥ .

(٣) القح : هو الخالص . المرجع السابق ص٣٠٠ .

(٤) أرومته : وتضم أصله . المرجع نفسه ص١٣٨٩ .

(٥) ملوك الطوائف ص٣٥٤-٣٥٥ .

(٦) المرجع السابق ص٣٥٦ .

فاذا كان هذا حكم المستشرقين على أديانهم، فكيف يجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدراً للتلقى ، وهو يعلم سلفاً أن قومه يرفضون التدين بها لأنها لاتواكب طموحاتهم ، وقد غصت بالعقائد الساذجة التى يسخرون منها؟

(٧) إن أحكام الشريعة الإسلامية كانت تأتى على حسب الحوادث والوقائع وكان صلى الله عليه وسلم يبين عند كل أمر مايحتاج إليه ، ويتوقف فى بعض الأمور لينتظر الوحى ، وفى ذلك دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يتلق علماً سابقاً من أهل الكتاب أو غيرهم ، ويلزم من تلقيه أن يكون على صلة دائمة بهم .

إن يعلى بن أمية رضى الله عنه كان يقول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : ليتنى أرى نبى الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه . فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ، وعلى النبى صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به عليه معه ناس من أصحابه ، فيهم عمر . إذ جاءه رجل عليه جبة صوف ، متضمخ بطيب فقال : يارسول الله! كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة فى جبة بعدما تضمخ بطيب؟

فنظر إليه النبى صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت . فجاءه الوحى ، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية : تعال . فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط ساعة ، ثم سرى عنه ، فقال : "أين الذى سألنى عن العمرة آنفاً؟" فالتمس الرجل فجىء به . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات . وأما الجبة فانزعها . ثم اصنع فى عمرتك ماتصنع فى حجك"(١).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الحج (٢٥) ، باب غسل الخلوق ثلاث مرات (١٧) ١٤٤/٢ ، وفى كتاب المغازى (٦٤) ، باب غزوة الطائف (٥٦) ، ١٠٣/٥ ، وفى كتاب فضائل القرآن (٦٦) ، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب (٢) ، ٩٧/٦-٩٨ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحج (١٥) ، باب مايباح للمحرم (١) برقم ١١٨٠ ، وسياق القصة له ٨٣٧/٢ .

(٨) ومن أقوى مايدل على أن الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية ، وجود الخلاف فى كثير من العقائد والأحكام . بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً له ، ومن متطلبات الشرع ، وهنالك كثير من الأحكام جعلت العلة فيها هى مخالفة اليهود أو النصارى (١).

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم"(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم : "خالفوا اليهود فإنهم لايصلون فى نعالهم ولاخفافهم"(٣).

عن أنس إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ، لم يؤاكلوها ولم يجامعهن فى البيوت . فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم النبى صلى

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ١٦٠/١، ١٦١، ١٧٣، ١٧٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤-١٤٦ ، وفى كتاب اللباس (٧٧) ، باب الخضاب (٦٧) ، ٥٧/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب اللباس والزينة (٣٧) ، باب فى مخالفة اليهود فى الصبغ (٢٥) برقم ٢١٠٣ ، ١٦٦٣/٣ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه من حديث شداد بن أوس ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة فى النعال برقم ٦٥٢ ، ١٧٦/١ .
قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وإسناده صحيح" . مشكاة المصابيح ٢٣٨/١ الهامش .
وأخرجه البيهقى فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب سنة الصلاة فى النعلين ٤٣٢/٢ ، والحاكم فى المستدرك ، كتاب الصلاة . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى ٢٦٠/١ .
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد من حديث أنس بن مالك . وزاد فيه : "وصلوا فى خفافكم ونعالكم" . وقال : رواه البزار ٥٧/٢ .
وقد نص الشيخ ناصر الدين الألبانى على صحة الحديث .
انظر : صحيح سنن أبى داود ١٢٨/١ ورقمه ٦٠٨ .

الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى : {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض} الى آخر الآية(١). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اصنعوا كل شىء إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود فقالوا : "مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"(٢)الحديث .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فهذا الحديث يدل على كثرة ماشرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل على أنه خالفهم فى عامة أمورهم ، حتى قالوا : مايريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"(٣).

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله ، بمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم ، ألا يكفى ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين أنه كيف شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود؟ أولم يكفهم أنه صلى الله عليه وسلم أخرج اليهود أذلاء حقيرين من المدينة وأجلاهم عنها لما نقضوا عهودهم معه ، وأبى عليهم أن يساكنوه فى بلد واحد؟(٤)

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٢٢

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحيض (٣) ، باب الاضجاع مع الحائض فى لحاف واحد (٢) برقم ٣٠٢ ، ٢٤٦/١ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١٨٧/١ .

(٤) روى البخارى ومسلم بسنديهما إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال : "حاربت النضير وقريظة فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود المدينة" . هذا لفظ البخارى كتاب المغازى (٦٤) ، باب حديث بنى النضير (١٤) ، ٢٢/٥ .
وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب إجلاء اليهود من الحجاز (٢٠) برقم ١٧٦٦ ، ١٣٨٧/٣-١٣٨٨ .

أما وقف المستشرقون على الآيات والأحاديث العديدة الذامة لليهود ، والهاتكة لستورهم؟ أفى ذلك أيضاً دلالة على أن النبى كان يتقرب منهم ويتزلف لهم لكسبهم وإرضائهم؟

إن النبى صلى الله عليه وسلم منذ أن بعث وحمل رسالة الإسلام ، نسخ الأديان السابقة ، وأبطل شرعيتها ، فلانجاة لأحد من الخلق يهودياً كان أو نصرانياً إلا بالتزام شرعه والسير على نهجه ، وهو القائل صلى الله عليه وسلم : "والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار"(١).

فلابقاء لدين مع دينه صلى الله عليه وسلم ، ولاشريعة مع شريعته ، بل دينه هو الحاكم والمهيمن على كل الأديان . قال سبحانه وتعالى : {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق}(٢)الآية . وقال تعالى : {قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لاإله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون}(٣).

واستدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه أمور تحتاج إلى إيضاح :

أولاً : جاءت الأحاديث تترى عن النبى صلى الله عليه وسلم تأمر بصيام يوم عاشوراء ، وكان مفروضاً فى بادىء الأمر ، فلما شرع صوم رمضان ، أصبح صيامه مستحباً .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، كتاب الإيمان (١) باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (٧٠) برقم ٢٤٠ ، ١٣٤/١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٤٨

(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٨

وذلك لقول عائشة رضى الله عنها : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بصيام يوم عاشوراء ، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر"(١).

ثانياً : وردت بعض الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يؤخذ منها موافقته صلى الله عليه وسلم لليهود . من ذلك : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ماهذا؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"(٢).

وعلة الموافقة هى التى بنى عليها المستشرقون شبهتهم السابقة .

ويجاب بالآتى :

(١) لقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم عاشوراء فى الجاهلية قبل قدومه المدينة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم يوم عاشوراء (٦٩) ٢/٢٥٠ .
وأخرجه مسلم بلفظ مقارب ، كتاب الصيام (١٣) ، باب صوم يوم عاشوراء (١٩) ٢/٧٩٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم يوم عاشوراء (٦٩) ٢/٢٥١ .
وأخرج نحوه فى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {وكلم الله موسى تكليماً} (٢٤) ٤/١٢٦ ، وفى كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب إتيان اليهود النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة (٥٢) ، ٤/٢٦٩ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة يونس (١٠) ، باب (١) ، ٥/٢١١-٢١٢ ، وفى تفسير سورة طه (٢٠) ، باب (٢) ، ٥/٢٣٩ .
وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ١١٣٠ ، ٢/٧٩٥-٧٩٦ .

صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه"(١).

وفى رواية : "وكان يوم تستر فيه الكعبة"(٢).

فدل بهذا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يصمه موافقة لليهود واقتداء بهم ، فيكون قوله فى الحديث "فأنا أحق بموسى منكم" ، توكيداً لصومه ، وبياناً لليهود : أن الذى يفعلونه من موافقة موسى نحن أيضاً نفعله ، فنكون أولى بموسى منكم(٣).

(٢) إن النبى صلى الله عليه وسلم بين نوع مخالفة لليهود فى صيام عاشوراء عندما شرع صيام يوم قبله أو بعده .

فعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا فيه اليهود ، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً"(٤).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم يوم عاشوراء (٦٩) ٢/٢٥٠ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب الحج (٢٥) ، باب قول الله تعالى : {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس} (٤٧) ، ٢/١٥٩ ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب وجوب صوم رمضان (١) ، ٢/٢٢٦ ، كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب أيام الجاهلية (٢٦) ، ٤/٢٣٤ ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة (٢) ، باب {ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام} (٢٤) ، ٥/١٥٥ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ١١٢٥ ، ٢/٧٩٢-٧٩٣ .

(٢) هذه الرواية أخرجها البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج (٢٥) ، باب قول الله تعالى : {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس} (٤٧) ، ٢/١٥٨-١٥٩ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤١٣-٤١٤ ، فتح البارى ٤/٢٤٨ .

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ١/٢٤١ ، والبيهقى فى سننه موقوفاً على ابن عباس ، كتاب الصيام ، باب صوم يوم التاسع ٤/٢٨٧ .
قال الشيخ الأرناؤوط : "وسنده صحيح" . زاد المعاد ٢/٦٩ الهامش .
وأخرج عبد الرزاق فى المصنف نحوه موقوفاً على ابن عباس أيضاً ، باب صيام يوم عاشوراء برقم ٧٨٣٩ ، ٤/٢٨٧ .

وعنه قال : حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا : يارسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فإذا كان العام المقبل ، إن شاء الله ، صمنا اليوم التاسع" ، قال : فلم يأت العام المقبل ، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

فدل ذلك على مخالفته لهم فى صيامه(٢).

وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لايصلون فى مكة إلا مرتين فى اليوم ، ثم أدخلت صلاة ثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية . فهو زعم أوهى من خيط العنكبوت ، إذ الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، ولاخلاف بين أهل العلم وأهل السير فى ذلك(٣).

وهذا الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة التى وردت فى صفة الإسراء والمعراج فى الصحيحين وغيرهما ، من أحاديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم(٤).

وفى أحدها قوله صلى الله عليه وسلم : "فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يامحمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة"(٥)الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الصيام (١٣) ، باب أى يوم يصام فى عاشوراء (٢٠) برقم ١١٣٤ ، ٢/٧٩٧-٧٩٨ .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤١٥ ، فتح البارى ٤/٢٤٥ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢١٠ .

(٤) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة (١) ، ١/٩١-٩٣ ، كتاب الحج (٢٥) ، باب ماجاء فى زمزم (٧٦) ، ٢/١٦٧ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ذكر إدريس عليه السلام (٥) ، ٤/١٠٦-١٠٨ .
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات (٧٤) ، ١/١٤٥-١٥١ .

(٥) هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجها مسلم فى صحيحه ، فى الكتاب والباب السابقين من حديث أنس بن مالك ، ورقمه ١٦٢ ، ١/١٤٥-١٤٧ .

وأما زعمهم أنه جعل الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت عند اليهود . فهو أيضاً قول مخالف للصواب ، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}(١).

وقد ثبت أن الله أمر الأمم السابقة بتعظيمه فضلوا عنه ، واختار اليهود السبت والنصارى الأحد ، وفضل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته (٢).

عن أبى هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا . فكان لليهود يوم السبت . وكان للنصارى يوم الأحد . فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد . وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا . والأولون يوم القيامة . المقضى لهم قبل الخلائق"(٣).

ففى الحديث ذم لأهل الكتابين على تفريطهم فى يوم الجمعة . ثم شرع صلى الله عليه وسلم صيام يوم السبت ويوم الأحد مخالفة لهما . كما جاء فى حديث أم سلمة أنها قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام ويقول : إنهما عيد

---

(١) سورة الجمعة : آية ٩

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٦٥/٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجمعة (٧) ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٦) برقم ٨٥٦ ، ٥٨٦/٢ .
وأخرج البخارى نحوه من حديث أبى هريرة ، كتاب الجمعة (١١) ، باب فرض الجمعة (١) ، ٢١١/١-٢١٢ ، وفى باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل (١٢) ، ٢١٦/٢ .
وأخرج مسلم نحوه أيضاً من حديث أبى هريرة فى الكتاب والباب السابقين برقم ٨٥٥ ، ٥٨٥/٢-٥٨٦ .

المشركين فأنا أحب أن أخالفهم"(١).

قال الحافظ ابن حجر : "يوم السبت عيد عند اليهود والأحد عيد عند النصارى وأيام العيد لاتصام فخالفهم بصيامها"(٢).

بعد هذا يتضح لنا أن وحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصرانية وإنما هو وحى مستقل لم يتأثر بغيره. وبالتالى دين الإسلام دين قائم بذاته متميز عن غيره ، وإذا وجد تشابه بين نسك إسلامى وبين عمل سابق منسوب إلى دين اليهود أو النصارى . دل ذلك على أن أصل الدين الذى جاء به رسل الله واحد(٣).

قال تعالى : {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم : "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(٥).

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٢٤/٦ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد . وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات وصححه ابن حبان" ٢٠١/٣ .
وأخرج الترمذى نحوه من حديث عائشة رضى الله عنها ، كتاب الصوم (٦) ، باب ماجاء فى صوم يوم الاثنين والخميس (٤٢) برقم ٧٤٦ ، ١٢٢/٣ .
وقد جاء من الأحاديث مايدل على النهى عن صيام يوم السبت . إلا أن الإمام أبا داود رحمه الله يرى أن ذلك منسوخ .
انظر : سنن أبى داود ٣٢١/٢ ، فتح البارى ٣٦٢/١٠ .

(٢) فتح البارى ٣٦٢/١٠ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٣٨/٢ ، مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١٦٥/١ ، الرسول فى كتابات المستشرقين ص١٢٥ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٩١ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٩٢

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب : {واذكر فى الكتاب مريم} (٤٨) ، ١٤٢/٤ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه عنه رضى الله عنه بألفاظ مقاربة . كتاب الفضائل (٤٣) ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٠) ، ورقمه ٢٣٦٥ ، ١٨٣٧/٤ . =

أى أصل إيمانهم واحد لأنهم متفقون فى أصول التوحيد ، وأما فروع الشريعة فوقع فيها اختلاف(١).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العلاقة بين شريعة الإسلام والشرائع السابقة ، مقسماً ذلك إلى ثلاثة أقسام :

(أ) قسم مشروع فى ديننا ، مع كونه كان مشروعاً لهم ، أو لايعلم أنه كان مشروعاً لهم لكنهم يفعلونه الآن .

(ب) وقسم كان مشروعاً ثم نسخه شرع القرآن .

(ج) وقسم لم يكن مشروعاً بحال ، وإنما هم أحدثوه .

وهذه الأقسام الثلاثة : إما أن تكون فى العبادات المحضة ، وإما أن تكون فى العادات المحضة ، وهى الآداب . وإما أن تجمع العبادات والعادات(٢).

(أ) **الإدعاء بأنه أخذ ذلك من بحيرى الراهب :**

لقد تعرضت كثير من كتب السير إلى قصة بحيرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وملخص ماأورده ابن هشام رحمه الله :

إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام ومعه النبى صلى الله عليه وسلم وهو حديث السن ، فمروا براهب يدعى بحيرى فى صومعة له وكان إليه علم أهل النصرانية ، فصنع لهم طعاماً فدعاهم إليه، وذلك أنه رأى غمامة تظل النبى صلى الله عليه وسلم من بينهم فلما حضروا إليه جعل يلحظ النبى صلى الله عليه وسلم لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، ثم جعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه

= إخوة لعلات : هم الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد . أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .
النهاية ٢٩١/٣ ، وانظر : الفائق ٤٤/٣ .

(١) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٢٠/١٥ ، فتح البارى ٤٨٩/٦ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٢٠/١ .

وهيئته وأموره ، فأخبره ، فوافق ذلك ماعند بحيرى من صفته ، ثم سأل أبا طالب عنه فأخبره أنه ابن أخيه ، فأمره أن يرجع به إلى بلده ، وحذره عليه من اليهود ، وأخبره أنه كائن له أمر عظيم .

فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته(١).

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ص١١٠-١١٢ .
والقصة رواها الإمام الترمذى فى سننه ، من طريق أبى موسى الأشعرى ، كتاب المناقب (٥٠) ، باب ماجاء فى بدء نبوة النبى صلى الله عليه وسلم (٣٠) ، برقم ٣٦٢٠ ، ولم يرد اسم (بحيرى) فى القصة ، وقال : "حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه" ٥/٥٥٠-٥٥١ .
وروى الخبر الحاكم فى المستدرك . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . قال الذهبى : "أظنه موضوعاً فبعضه باطل" . ٢/٦١٥-٦١٦ .
ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ، باب ماجاء فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى طالب ٢/٢٤-٢٥ .
وأورده ابن كثير من طريق ابن إسحاق ، ثم قال : "هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .
فقال الحافظ أبو بكر الخرائطى حدثنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن أبى إسحاق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه . فساق رواية الترمذى .
ثم قال : "وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبى نوح عبد الرحمن ابن غزوان الخزاعى مولاهم ، ويقال له الضبى ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، وثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرحه ، ومع هذا فى حديثه هذا غرابة ... قال عباس الدورى : ليس فى الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبى نوح وقد سمعه منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده .
قلت : فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة . فإن أبا موسى الأشعرى إنما قدم فى سنة خيبر ، سنة سبع من الهجرة . ولايلتفت إلى قول ابن إسحاق فى جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة . وعلى كل تقدير فهو مرسل . فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة" . البداية والنهاية ٢/٢٨٤-٢٨٥ .
وقد ذهب الشيخ ناصر الدين الألبانى إلى صحة الرواية . وذكر أن إسناد الترمذى صحيح . انظر : فقه السيرة ص٦٨ الهامش .

وقد دفع هذه الشبهة الشيخ الزرقانى رحمه الله دفعاً رد به مزاعم المستشرقين ، بحيث لايجدون بعد ذلك متعلقاً فى هذه الحادثة البتة . قال : "يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم لقى بحيرى فأخذ عنه وتعلم منه ... وندفع هذا :

أولاً : بأنها دعوى مجردة عن الدليل ، خالية من التحديد والتعيين . ومثل هذه الدعاوى لاتقبل مادامت غير مدللة ، وإلا فليخبرونا ماالذى سمعه محمد من بحيرى الراهب؟ ومتى كان ذلك وأين كان؟

ثانياً : أن التاريخ لايعرف أكثر من أنه صلى الله عليه وسلم سافر إلى الشام فى تجارة مرتين ، مرة فى طفولته ومرة فى شبابه ، ولم يسافر غير هاتين المرتين ، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما . ولم يسمع من بحيرى ولامن غيره شيئاً من الدين . ولم يك أمره سراً هنالك بل كان معه شاهد فى المرة الأولى وهو عمه أبو طالب ، وشاهد فى الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التى خرج الرسول بتجارتها أيامئذ .

وكل ماهنالك أن بحيرى الراهب رأى سحابة تظله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن ، ثم حذره عليه من اليهود . وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته .

كذلك روى هذا الحادث من طرق فى بعض أسانيدها ضعف . ورواية الترمذى ليس فيها اسم بحيرى . وليس فى شىء من الروايات أنه صلى الله عليه وسلم سمع من بحيرى أو تلقى منه درساً واحداً أو كلمة واحدة ، لافى العقائد ولافى العبادات ولافى المعاملات ولافى الأخلاق . فأنى يؤفكون؟

ثالثاً : أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم المرشد لمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته ، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التى يزفها ، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذى سيأخذعن الله ويتلقى عن جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين ، وهادى الهداة والمرشدين! وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه .

رابعاً : أن بحيرى لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامى المعجز لكان هو أحرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم .

خامساً : أنه يستحيل فى مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ، ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف ، بحيث يصبح أستاذ العالم كله ، لمجرد أنه لقى مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين . على أن هذا التلميذ كان فى كلتا المرتين مشتغلاً عن التعليم بالتجارة وكان أمياً لايعرف القراءة والكتابة ، وكان صغيراً تابعاً لعمه فى المرة الأولى وكان حاملاً لأمانة ثقيلة فى عنقه لابد أن يؤديها كاملة فى المرة الثانية ، وهى أمانة العمل والإخلاص فى مال خديجة وتجارتها .

سادساً : أن طبيعة الدين الذى ينتمى إليه الراهب بحيرى ، تأبى أن تكون مصدراً للقرآن وهدايته ، خصوصاً بعد أن أصاب ذلك الدين ماأصابه من تغيير وتحريف .

سابعاً : أن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة ، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا ، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة"(١).

يتبين لنا مما سبق أن لقاءه ببحيرى كان فى وقت وجيز ، وكان لقاء سريعاً لايكفى لحمل هذا العلم الذى نثره النبى صلى الله عليه وسلم فى مدة ثلاثة وعشرين عاماً ، وقد كان صلى الله عليه وسلم فى سن التاسعة أو الثانية عشرة من عمره ، وهذه سن لاتؤهله لحمل واستيعاب كثير من المسائل ، وعمه ماكان يفارقه طرفة عين ، ولم ينفرد به بحيرى ليلقنه ذاك الدرس المزعوم .

ومع أن هذه الحادثة ليس لها كبير أهمية إلا أن أعداء الإسلام من المستشرقين يتشبثون بها ، ويركزون عليها ، ولاحجة لهم فى ذلك(٢).

---

(١) مناهل العرفان ٢/٤٢١-٤٢٣ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص٢٢٨ .

(ب) **الادعاء بأنه أخذ من ورقة بن نوفل :**

روى البخارى رحمه الله بسنده إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : "أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ماأنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماأنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ماأنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : {اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم}(١). فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة كلا والله مايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءاً تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : ياابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : ياابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومخرجى هم؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب

---

(١) سورة العلق : آية ١-٣

ورقة أن توفى وفتر الوحى "(١).

وعلى ضوء هذه الرواية الصحيحة يمكن أن نبين بطلان مزاعم المستشرقين ، وتهافت أقوالهم ، وفسادها . وذلك فى النقاط التالية :

الأولى : تبين الرواية أن ورقة كان قد تنصر فى الجاهلية ، ولكن المحدثون والمؤرخون استقصوا كل ماعرف عنه مما صح سنده ومما لم يصح فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية(٢).

الثانية : لم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم قد لقى ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه(٣).

الثالثة : لقد تم هذا اللقاء بعد مجىء ملك الوحى فى المرة الأولى ، وقد حضرت اللقاء خديجة رضى الله عنها وشهدته ، وقد آمنت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فلو كان هنالك تعلم وتلقى ماغاب ذلك عن بالها أبداً(٤).

الرابعة : إن موقف ورقة من ذلك الأمر كان موقف المستطلع المستخبر لاموقف المعلم ، فلما أخبره النبى صلى الله عليه وسلم خبر مارأى كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن المتطوع لمناصرة الحق ، المؤيد للنبى صلى الله عليه وسلم ، فموقف هذا شأن صاحبه لايمكن أن يكون هذا الصاحب مصدر علم الوحى الذى شرف به رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥).

---

(١) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ٣٦٢

(٢) انظر : الوحى المحمدى ص٩٦ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢١٧ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٢ .

(٣) انظر : الوحى المحمدى ص٩٦ .

(٤) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢١٨ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣ .

(٥) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢١٨ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣ .

الخامسة : لم تذكر الروايات أنه ألقى إلى النبى صلى الله عليه وسلم درساً أو عظة فى أى جزء من جزئيات الإسلام ولم تثبت أنه كان صلى الله عليه وسلم يتردد عليه لتلقى تلك الدروس ، والذى يفهم من كلمته المختصرة أنه كان يتمنى أن يبقى حتى يصبح ناصراً لدين الله ، وجندياً مخلصاً ، وتلميذاً ناجحاً للنبى صلى الله عليه وسلم لاأستاذاً مربياً ، ولاعالماً معلماً(١).

السادسة : لقد مات ورقة مبكراً ، ولم يمكث زمناً طويلاً . فكيف كان هو سر نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟(٢)

وكيف تنبأ للنبى صلى الله عليه وسلم بتلك الحوادث والأمور التى حدثت فيما بعد؟ أكان يعلم الغيب؟ {قل لايعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون}(٣).

السابعة : لو ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ذلك من ورقة لما سكت أعداؤه أبداً ، ولروجوا ذلك ، وساروا به فى الناس جميعاً ، وهم الذين تشبثوا بما هو أوهى من ذلك(٤).

الثامنة : لو كان ورقة هو الذى أعطى علوم النبوة للنبى صلى الله عليه وسلم لكان هو أولى بالنبوة منه صلى الله عليه وسلم .

التاسعة : لو كان ورقة هو المعلم ، وقد كان معايشاً للنبى فى مكة ، فلماذا انتظر إلى أن هرم وبلغ النبى من العمر أربعين .

(ج) **ادعاؤهم أنه أخذ من الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة :**

إن هذا ادعاء يعلم ببداهة العقول فساده ، فأغلب هؤلاء الذين ذكرهم الحداد لم يلتق بهم النبى صلى الله عليه وسلم إلا بعد الهجرة ، وقد سبق

---

(١) انظر : مناهل العرفان ٤٢٨/٢ .

(٢) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢١٨ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣ .

(٣) سورة النمل : آية ٦٥

(٤) انظر : الإسلام والمستشرقون ص٢٢٨ .

عمر مديد من حياة النبوة ، وقد التقى بهم تابعين له لامتبوعين ، ومتعلمين منه لامعلمين ، ومؤمنين به ومصدقين لامكذبين(١).

قال د. التهامى نقرة :

"إن مايدعيه المستشرقون من إفادة الرسول من حاشيته اليهودية والمسيحية الذين أسلموا وكانوا فى صحبته ، هو محض افتراض ، لأن إسلامهم حجة قائمة على صدق ماجاء به من الوحى الإلهى . ولو تبين لهم أنه كان يتتلمذ لهم فى خفاء ليتلقى عنهم ماكان يدعو إليه لانفضوا من حوله ، ولعادوا إلى دينهم ، ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة فى الدعوة إلى الإسلام والذود عنه ، والإخلاص للرسول ، فإن ثباته فى الشدائد والمحن ، ومثابرته على مغالبة الكبر والعناد ، أول برهان قدمه للإنسانية على مدار التاريخ ، يشهد بصحة نبوته وصدق رسالته"(٢).

---

(١) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص٢٢١،٢٢٢ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٦ .

(٢) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٣٥/١ .

(٢) أن الوحى مقتبس من العقائد والأديان القديمة المختلفة :

لقد زعم المستشرقون أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد من الأفكار ، ولم يبشر بدين إلهى كما يقول ، وإنما أخذ أفكاره من الأديان والعقائد والنظريات السائدة فى عهده ، وطور فى بعضها لتساير مجتمعه الذى يعيش فيه . فالوحى الذى يزعمه هو عبارة عن لميم ومزيج من العقائد والعبادات الهندية والفارسية واليونانية والبابلية والوثنية والمجوسية وشرائع العرب فى الجاهلية والأساطير الإبراهيمية والنزعات الصوفية وغير ذلك، فلم يأت بما لم يسبق إليه(١).

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى: العقيدة والشريعة ص٤، ٥، ١٨، ١٩ الأولى ، تراث الإسلام ٢/٢٠٦ ، ٣/١٠ ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٨، ٧١، ٧٤، ٧٦، ٨٠ ، تاريخ العرب ١/١٨٣-١٨٥ ، ملوك الطوائف ص٤١١، ٤٧٠ .

والجواب عن ذلك :

إن الله سبحانه قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وذلك حين انحرفت الإنسانية عن طريق الرسل عليهم السلام ، وانغمست فى لجج الضلال ، وانطمس نور الهداية ، فعاش الجميع فى ظلام دامس ، إلا ماندر ممن بقى من أهل الكتاب على عقيدة التوحيد .

قال صلى الله عليه وسلم : "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"(١).

واختلفت عقيدة الإيمان بالله فى نفوس البشر :

فالإله فى التوراة له تصور خاص يتعلق ببنى إسرائيل وأنبيائهم وليس له صفة العموم والشمول .

وفى الإنجيل فكرة التثليث التى تنافى الوحدانية(٢).

والبيئة التى نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيئة جاهلية اتخذت من الأصنام والأوثان آلهة تلجأ إليها فى الشدة والرخاء ، لاتعرف معروفاً ولاتنكر منكراً ، اختلط عندهم الحق بالباطل ، وذلك الضلال الذى وصفهم الله به فى قوله : {هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين}(٣).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . وهو جزء من حديث رواه عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه . كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٦) ، ورقمه ٢٨٦٥ ، ٤/٢١٩٧ .

قال النووى رحمه الله :

"المقت أشد البغض . والمراد بهذا المقت والنظر ماقبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل" .

شرح النووى على صحيح مسلم ١٧/١٩٧-١٩٨ .

(٢) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص٣٤،٣٥ .

(٣) سورة الجمعة : آية ٢

وأما الهنود فلهم أديان كثيرة وعبادات مختلفة تجمع بين الوثنية الساذجة ، والآراء الفلسفية (١). وقد عبدوا عدداً من الآلهة ، فعبدوا الحيوانات وقوى الطبيعة وغير ذلك (٢).

والمجوسية التى هى دين الفرس وغيرهم أثبتوا أصلين مدبرين ، أحدهما النور وهو إله الخير والنفع والصلاح ، والآخر الظلمة وهى إله الشر والضر والفساد (٣). وجعلوا للنار بيوتاً وعبدوها من دون الله (٤).

وعقائد اليونانيين والبابليين من الفلاسفة والصابئة الذين ينكرون النبوات (٥). فالصابئة يعبدون الكواكب والهياكل (٦)، والفلاسفة هم المقدسون للعقل القائلون بالوجود المطلق (٧). والصوفية التى انحرفت عن الصراط المستقيم وشابت عقائدها بالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية وغير ذلك ، كعقيدة الحلول (٨) والاتحاد (٩)،

---

(١) انظر : الملل والنحل ٩/٢ .

(٢) انظر : أديان الهند الكبرى ص٣٢،٣٣،٢١٣ .

(٣) انظر : الملل والنحل ٢٣٢/١ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٢٥٤/١ .

(٥) انظر : المرجع السابق ٣٨/١ .
قال الشهرستانى : "صبأ الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم صابئة" . المرجع نفسه ٥/٢ .

(٦) انظر : المرجع السابق ٧/٢ .

(٧) انظر : المرجع السابق ٥٨/٢،٥٩ .

(٨) الحلول : عقيدة باطلة من عقائد المتصوفة أخذت عن العقائد الهندية والنصرانية . يزعمون فيها أن الله يحل فى الأشخاص ، حتى يصبح الشخص رباً أو إلهاً يتصرف فى الكون ويعلم الغيب . ومن أقوالهم فى ذلك : "أنا الحق" . "ومافى الجبة إلا الله". تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
انظر : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص٦٥ ، الموسوعة الميسرة ص٣٤٧ .

(٩) الاتحاد أو وحدة الوجود : هى عقيدة الحادية باطلة من عقائد المتصوفة . يزعمون فيها : أن كل شىء فى الوجود هو الله . وأن الله هو الذى فى الكون وحده ولاشىء معه ، وماهذه الظواهر من المخلوقات إلا مظاهر لحقيقة واحدة هى حقيقته . تعالى الله عما يقول الجاهلون .
انظر : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص٦٩ ، الموسوعة الميسرة ص٣٤٧ .

والفناء(١)(٢).

قال محمد الغزالى :

"فماذا كان مصير الحضارات فى مصر واليونان ، وفى الهند والصين ، وفى فارس وروما؟ لاأقصد مصيرها من ناحية السياسة والحكم ، بل من ناحية العاطفة والعقل .

إن الوثنية الوضيعة اغتالتها ، وفرضت عليها السقوط فى هذه الوهدة الزرية . فأمسى الإنسان الذى استخلفه الله ليكون ملكاً فى السماوات والأرض أمسى عبداً مسخراً لأدنى شىء فى السموات والأرض . وماذا بعد أن تقدس العجول والأبقار ، ويعبد الأخشاب والأحجار ، وتطبق شعوب بأسرها على الخرافة؟"(٣)

فيستحيل على هذه النحل الفاسدة ، والعقائد المنحرفة أن تكون مصدراً لعقيدة التوحيد الصافية الخالية من كل شائبة شرك ، ولذلك الدين القويم والهدى المستقيم الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الفناء :

عقيدة الحادية باطلةمن عقائد المتصوفة يزعمون فيها أن العبد يفنى فى الله بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لاوجود لسواه ، لابه ولابغيره .

قال ابن القيم رحمه الله :

"زعم أهل الاتحاد ـ القائلون بوحدة الوجود ـ أن الفناء هوغاية الفناء عن وجود السوى . فلايثبت للسوى وجود البتة . لافى الشهود ولافى العيان . بل يتحقق بشهود وحدة الوجود . فيعلم حينئذ : أن وجود جميع الموجودات هو عين وجود الحق ، فما ثم وجودان . بل الموجود واحد .

وحقيقة الفناء عندهم : أن يفنى عما لاحقيقة له . بل هو وهم وخيال ، فيفنى عما هو فان فى نفسه . لاوجود له . فيشهد فناء وجود كل ماسواه فى وجوده . وهذا تعبير محض . وإلا ففى الحقيقة :ليس عند القوم "سوى" ولا"غير" وإنما السوى والغير فى الوهم والخيال . فحول هذا الفناء يدندنون وعليه يحومون".

مدارج السالكين ٣٧٨/٣ .

(٢) انظر : الموسوعة الميسرة ص٣٤١،٣٥٢ .

(٣) فقه السيرة ص١٦-١٧ .

فأحيا الله به قلوباً غلفاً ، وأبصاراً عمياً ، وآذاناً صماً ، وانتشل به البشرية من وهدة الظلام وضلال العقول إلى بر الأمان وسلامة المعتقد .

وهذه النحل تحوى بين طياتها لميماً من العقائد والعبادات المختلفة المتباينة ، فكيف استقى النبى صلى الله عليه وسلم منها جميعاً ثم خرج بهذا الدين الذى لاتباين فيه ولااختلاف؟ وهل لبشر مهما أوتى من النبوغ وحصافة العقل أن يجمع بين ملل تفرقت بها الأهواء وانحرفت بها السبل ، وتشعبت بها الطرق ، واختلفت مصادرها ومشاربها هذه الاختلافات البينة التى غصت بها كتب النحل والملل والأديان؟

لقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً لايقرأ ولايكتب فى بيئة أمية جاهلية تقبع فى جزيرة العرب ليس لها معرفة واطلاع على عقائد وأديان الشعوب الأخرى إلا ماقل وندر ، ولم يخرج صلوات الله وسلامه عليه من جزيرة العرب قط ، ولم يختلط مع تلك الشعوب ويتعرف على عقائدها وثقافاتها ليكون منها فكرة دينية ثم يزعم أنه أرسل لتبليغها للناس .

وقد أسلم كثير من أصحاب تلك النحل ، وحملوا هذا الدين ، وأصبحوا من أبنائه ، فلماذا لم يكشفوا عن هذه الحقيقة لأبناء نحلهم؟ ولماذا رضوا بالبقاء واستمرارية الانتماء له وهو دين منحول من أديانهم وغيرها؟

وأين هو الدليل الذى يثبت مزاعم المستشرقين على إفكهم هذا؟

وماهى العقيدة أو الشعيرة التى اقتبست من تلك النحل؟

لقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم الوثنيين وطهر أرض الحجاز منهم ومن أوثانهم ، وأجلى اليهود عن المدينة .

وكاتب ملوك الفرس والروم وغيرهم ، يدعوهم إلى ترك ماهم فيه والانخراط فى دينه ، وواصل خلفاؤه من بعده الفتوح فدكوا عرش الفرس واقتلعوا دولتهم من جذورها ، وأخرجوا الروم من الجزيرة العربية ، وظل الإسلام يواصل سيره شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، ويغزو تلك النحل والملل فى عقر دورها ، ويخضع أصحابها إلى الانتماء إليه وترك أديانهم وعقائدهم ، فلو كان ملفقاً من تلك العقائد لماذا لم يجابه أربابها الفاتحين

بتلك الحجة ـ وماأسهلها ـ بدلاً من حمل السيف ومواجهة التقتيل والتشريد والسبى؟

ثم لماذا يحارب المسلمون أصحاب نحل يعلمون أن نبيهم عليه السلام قد استقى دينه منها؟ ولماذا لم يكرموهم ويقدروهم ، ويجلوا عقائدهم بدلا من سفك الدماء ، وسبى النساء ، وفرض الجزية؟.

كل هذا وغيره يبين فساد ادعاء المستشرقين وبطلان قولهم ، وتهافت عقولهم ، وانكشاف دسائسهم وأحقادهم .

(٣) **أن الوحى كهانة :**

قال بروكلمان :

"واستخدم محمد فى دعوته أساليب الكاهن ، كما عزا على غراره أحوال غيبوبته ومايصدر فى هذه الأحوال من تصريحاته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل ، واعتقد أنه رسول الله إليه . ولاحاجة هنا إلى ذكر تاريخ دعوته التى ضاها بها فى مكة أسلوب الدعوة النصرانية ، ولعله كان يعرف هذه الدعوة عن طريق المبشرين النساطرة وقد زجت هذه الدعوة بمحمد فى خصومة مع قومه"(١).

---

(١) تاريخ الأدب العربى ١٣٤/١ ، وانظر تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٦-٣٧ .

والجواب عن ذلك :

هـذه شبهة قديمة قذف بهـا النبى كفار قريش وضلالهـا ورمـوه بها(١).

وقـد تولى الله عز وجل دحض ذلـك فى قرآنه الكـريم فقال : {فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون}(٢).

وقال : {فلاأقسم بما تبصرون . ومالاتبصرون . إنه لقـول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون . ولابقول كاهن قليلاً مـاتذكرون . تنزيل من رب العالمين}(٣).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسير الآية الأولى :

"يقـول تعـالى آمراً رسوله صلى اللـه عليه وسلم بأن يبلـغ رسـالته إلى عبـاده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفى عنه مـايرميه به أهل البهتان والفجور فقال : {فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون} أى لست بحمد الله بكاهن كما تقول الجهلة من كفار قريش والكاهن الـذى يأتيه الرئى من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء"(٤).

فقـد أوضـح ابن كثير رحمـه اللـه أن مثيرى الشبهـة هـم أهل بهتان وفجـور ، وجهلة ، وهى من أبرز صفـات المستشرقين الـذين ضاهوا بقولهم قول المشركين ، فهم قوم بهـت لايتـوانون عـن الكذب والفجـور والإفـك ، وذلك لجهلهم وخفة عقولهم .

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/١٦٣-١٧٩ .

(٢) سورة الطور : آية ٢٩

(٣) سورة الحاقة : آية ٣٨-٤٣

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٣ .

انظر فى معنى الآية : زاد المسير ٧/٢٢٠ ، تفسير أبى السعود ٨/١٥٠ .

(٤) **أن الوحى أسطورة :**

بلغ الزعم بالمستشرق (تولستوف) إلى أن ينفى وجود النبى صلى الله عليه وسلم ويعتبره شخصية أسطورية . وأن الإسلام نشأ عن أسطورة صنعت فى الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة ، وأنها مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنيفية(١).

---

(١) انظر : الإسلام والمستشرقون ص٢٦٧ .

والجواب عن ذلك :

هـذه شبهـة لاتحتاج إلى رد ، وذكـرها يكفى لبيان بطلانهـا ، لأن خبر مبعـث النبى صلى الله عليه وسلم نقـل بالتواتر ، وعلم بذلـك الأمـم مسلمها وكـافرها ، جيلاً بعد جيل ، وعصراً بعد عصر ، فإنكار ذلـك كإنكار الحقائق الثابتة ، والأمور المعلومة ضرورة التى لايختلف فيها اثنان .

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله فى شأن ماتواتر من الأخبار :

"وهـو مانقلته كافة بعد كافة حتى تبلغ به النبى صلى اللـه عليه وسلم . وهذا خبر لم يختلف مسلمان فى وجوب الأخذ به .

وفى أنه مقطـوع على غيبه ، لأن بمثلـه عرفنا أن القـرآن هو الذى أتى به محمـد صلى الله عليه وسلم ، وبه علمنا صحة مبعث النبى صلى اللـه عليه وسلم ... إن البرهان قائم على صحته ..."(١).

ومـازعمه تلستـوف أن النبى صلى اللـه عليه وسلم شخصيـة أسطـورية لاحقيقـة لها ، يقدح فى عقلـه الذى خالف به العقلاء الـذين أقـروا بوجوده صلى الله عليه وسلم ، ومن أولئك المستشرقون أنفسهـم . كما يقدح ذلك فى ديانته إن كان له ديانة ، ونبيه ان كان يؤمن بنبى .

وزعمه أن ذلك مستمد من اعتقادات سابقة تسمى الحنيفية زعم واهى أيضاً ، لأن الحنفاء الذين كانوا فى وسط البيئة الجاهليـة التى بعث فيها النبى صلى اللـه عليه وسلم عدد قليل امتازوا بسلامة الفطرة ، وعـرفوا ماكان عليه قومهم من الفساد والضلال ، وأيقنـوا بوجود إله واحد هـو الـذى يجب أن تصـرف لـه العبادة ، ولكنهـم كـانوا فى حيرة من أمرهـم لم يعـرفوا الطريق الصحيحة لعبادة الله وحده .

فما كانوا عليه لايصلح أن يكون أساساً ومصدراً للـذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ١٠٤/١ .

وقد سبق كلامه بطوله فى موضع الحديث عن المتواتر ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٥٣ .

(ج) مطاعن المستشرقين فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم :

أراد المستشرقون أن يدعموا شبهاتهم السابقة فقذفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهم جائرة ، وكالوا له أبشع الشتائم وأسوأ السباب ، حتى يجردوه من مقام العصمة الملازمة لمنزلة النبوة ، ولكى يقولوا للناس هذا فرد من أفراد البشرية لايختلف عنهم ، بل قد يكون دون الكثيرين منهم لما اتصف به من أخلاق ذميمة ، وأفعال تنافى الفضيلة ، فمثله لايصلح أن يكون موضعاً لاصطفاء الرب سبحانه وتعالى ، إذ النبوة مقام سامى ودرجة رفيعة لاينالها إلا الأصفياء الخلص من البشر ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فلايحق له أن يدعى هذه المنزلة العظيمة هكذا زعموا ، وبئس مازعموا .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرفع مكانة من أن تناله مطاعن أولئك ، وأسمى منزلة من أن تصل إليه تهمهم ، وهو أكمل الناس خلقاً ، وأحسنهم سجية ، وأصفاهم طبعاً ، وأوسعهم صدراً ، وأبلغهم حلماً ، فطر على مكارم الأخلاق ، وجبل على محاسن الصفات ، ومعالى الشيم .

ويكفى فى ذلك وصف الله له بقوله : {وإنك لعلى خلق عظيم}(١).

وقد كان خلقه القرآن صلوات الله وسلامه عليه .

وهذه مطاعنهم مشفوعة بالرد عليها ودحضها :

---

(١) سورة القلم : آية ٤

(أ) **انشغاله بالنساء :**

لقد صوروا النبى صلى الله عليه وسلم بأنه كان ميالاً إلى النساء منشغلاً بهن ، حتى تطرق المرض والضعف إلى نشاطه بسبب الحياة الزوجية الواسعة التى عاشها(١).

فقد تزوج اثنتى عشرةامرأة منهن من تزوجها بدافع الحب ومنهن من كان زواجه منها لغرض سياسى أو اجتماعى(٢).

فقد روى عنه أنه قال : "إنما حبب الى من دنياكم النساء والطيب"(٣).

وأضيف إلى ذلك فيما بعد "وجعلت قرة عينى فى الصلاة".

وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام خصومه الذين أخذوا عليه أنه لايشتغل بغير النساء مما لايتفق وصفة النبوة(٤).

---

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦٧ .
(٢) انظر : تاريخ العرب ص١٦٦ .
(٣) يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .
(٤) انظر : العقيدة والشريعة ص١٤٣ .

الجواب على ذلك :

هـذا محض افتراء على رسول الهدى صلى الله عليـه وسلم الذى ابتعثه اللـه مربياً وهادياً إلى أحسن الأخلاق وأقومها سبيلاً ، فلم يتزوج صلى اللـه عليـه وسلم بنسـائه بدافـع هـوى أو غـرام ، ولامجرد شهـوة ولاحب ، وهـو الطـاهر العفيـف المنزه عن النقـائص والعيوب والشهوات النفسيـة والمطـامع الشخصية .

والدليل على ذلك أمور نجملها فيما يلى :

(أ) لقـد تزوج صلى اللـه عليـه وسلم خديجة رضـى اللـه عنهـا وهـو فى عنفـوان شبـابه ، وكـانت فى الأربعين مـن عمـرها ولم يزد عليهـا حتى توفـاها اللـه ، وقد بلغ الخمسين مـن عمره ، فلم يكـن إلى هـذا العمر رجلاً شهوانياً لاكتفائه بامرأة واحدة ، فمن باب أولى ألايكـون كذلك وقد جاوز سن الشباب والفتوة والرغبة فى النساء(١).

(ب) لم يكـن فيمن تزوجهن بكراً سوى عائشة رضى اللـه عنها وقد خطبها وهـى صغيرة فى عمرها ، وأمـا سواها من نسائه صلى اللـه عليه وسلم فمنهـن مـن كانت طاعنة فى السـن ، ومن يصحبها أبنـاؤها ، وأمثـال هؤلاء تقل الرغبة فيهن ويضعف الاستمتاع بهن(٢).

(ج) لم يكـن زواجه منهن صلى اللـه عليه وسلم بقصد رغبـة أو شهوة وإنما لحكـم ومصـالح اقتضتهـا دعـوة الإسلام ، مـن إيجاد روابط أسـرية ، وتأليـف للقلوب ، وكفالة لليتامى ، وإحسان إلى الأرامـل وغير ذلك من أوجه المصالح التى ترتبـط بزواجه مـن كـل واحدة منهـن (٣).

---

(١) انظر : حياة محمد ص٣٢٨ ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٣٦١-٣٦٢ ، الإسلام والمستشرقون ص٢٢٨ .

(٢) انظـر : حيـاة الرسول المصطفـى ٦٤٦/٣ ، محمد صلى الله عليـه وسلم فى التـوراة والإنجيل والقرآن ص٢١٩ .

(٣) انظـر : حيـاة محمد ص٣٣٠-٣٣٦ ، محمـد رسـول الله ص٣٦٢ ، حيـاة الـرسول المصطفى ٦٤٥/٣ ، محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن ص٢٢٠

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله :

"وجملة القول أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة فى اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان فى التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الأرامل والأيتام ، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن ، والعدل بينهن ، وقرر الأحكام بذلك ، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الأحكام مايليق بهن مما ينبغى أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغنى فى الأمة غناء التسع . ولو كان صلى الله عليه وسلم أراد بتعدد الزواج مايريده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الأبكار على أولئك الثيبات المكتهلات منهن"(١).

(د) لقد كان صلى الله عليه وسلم بشراً يخضع لصفات البشرية ، فهو يحب ويبغض ، ويشتهى ويأنف ، ويرغب ويكره ، قال سبحانه : {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى}(٢). ومع ذلك لم يكن يتصرف فى كل أموره الخاصة كما يحلو له ويشاء وإنما كان يخضع لأوامر ربه سبحانه وتوجيهاته(٣)، كحادثة زواجه من زينب بنت جحش رضى الله عنها فقد تم بأمر من الله تعالى(٤).

---

(١) نداء إلى الجنس اللطيف ص٧٤ ، وانظر : ص٥٧-٥٨،٦٠-٧٤ من الكتاب نفسه .

(٢) سورة الكهف : آية ١١٠

(٣) انظر : حياة الرسول المصطفى ٦٤٥/٣ .

(٤) قال الله تعالى : {وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً} ، سورة الأحزاب : آية ٣٧

قال ابن كثير رحمه الله :

"وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل ، بمعنى أنه أوحى أن يدخل عليها بلاولى ولاعقد ولامهر ولاشهود من البشر". تفسير القرآن العظيم ٤٩١/٣ . =

وقد أباح الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج ماشاء من النساء ثم قصره على أزواجه اللائى كن فى عصمته وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجاً ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء أو السرارى وذلك فى قوله له : {لايحل لك النساء من بعد ولاأن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيباً}(١) جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن الله سبحانه فى ذلك بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم : {ياأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً}(٢). ثم رفع الله هذا الحكم عنه صلى الله عليه وسلم وأباح له التزوج ولكنه لم يقع منه زواج صلى الله عليه وسلم بعد ذلك(٣) .

(هـ) لم يكن صلى الله عليه وسلم يعيش فراغاً فى حياته ، وهو الذى لم يذق طعم الراحة منذ أن بعث إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم ، فقد قام بأعباء دعوة الله خير قيام ، فجاهد فى سبيلها ونشرها بالسيف والسنان والقول واللسان ، وكان معلماً لأصحابه مؤدباً لهم حاكماً فيهم قاضياً بينهم ، مراعياً لحقوقهم ، وكان مجاهداً لنفسه ملازماً لعبادة

= ومما يؤيد ذلك مارواه البخارى بسنده إلى أنس بن مالك قال :
"فكانت زينب تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات" .
وفى رواية : "إن الله أنكحنى فى السماء" .
صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {وكان عرشه على الماء} (٢٢) ، ١٧٦/٨ .

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٢

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢٨، ٢٩

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٨٠/٣، ٥٠١، ٥٠٢ .

ربه ، وكان يقوم حتى تتفطر أقدامه(١)، ويصوم حتى يظن أنه لايفطر(٢)، فأين فراغه الذى يقضيه فى شهواته وملذاته(٣).

ولكن المستشرقين عدموا الحياء فأساءوا الأدب ، وليس بعد الكفر ذنب.

(و) إن تعدد النساء ليس مما يطعن به الأنبياء ، ولايعد قدحاً فيهم ، ولو كان قادحاً فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقدح فى نبوة الأنبياء السابقين الذين عرفوا بتعدد النساء فى كتب العهد القديم التى يؤمن بها أولئك المستشرقون الحاقدون(٤).

فقد نصت تلك الكتب على أن إبراهيم عليه السلام تزوج سارة ثم هاجر فى حياة الأولى ، ويعقوب عليه السلام قد تزوج بأربع نسوة ، وداود عليه السلام تزوج نساء كثيرة، وسليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة ، وجاء فى شريعة موسى عليه السلام مايدل على تعدد الزوجات وعدم تحريمه(٥).

فلم يكن صلى الله عليه وسلم فى ذلك بدعاً من الرسل ، ولايخفى أن تعدد الزوجات كان أمراً شائعاً عند العرب مألوفاً لهم(٦).

---

(١) انظر : صحيح البخارى ، كتاب التهجد (١٩) ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم حتى تتورم قدماه (٦) ، ٤٤/٢ ، كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة الفتح (٤٨) ، باب قوله {ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك} (٢) ، ٤٤/٦ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الصبر عن محارم الله (٢٠) ، ١٨٣/٧ .
صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة (١٨) ، ٢١٧١/٤-٢١٧٢ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب التهجد (١٩) ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالليل (١١) ، ٤٦/٢ ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم شعبان (٥٢) ، وباب مايذكر من صوم النبى صلى الله عليه وسلم (٥٣) ، ٢٤٣/٢-٢٤٤ .
صحيح مسلم ، كتاب الصيام (١٣) ، باب صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان (٣٤) ، ٨٠٩/٢-٨١٢ .

(٣) انظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٣٦٢ .

(٤) انظر : حياة الرسول المصطفى ٦٤٥/٣ .

(٥) انظر : إظهار الحق ص٦١٦-٦١٩ .

(٦) انظر : حياة محمد ص٣٢٨، ٣٢٩ ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٣٦٢ .

ومع ذلك لم يكن دافع الشهوة هو الذى سيطر عليه صلى الله عليه وسلم فى زواجه ممن تزوج بهن . إضافة إلى أن تعدد الزوجات نفسه له حكم كثيرة يقصر هذا المقام عن ذكرها(١).

(ز) لقد تنبه العقلاء من أولئك القوم إلى فساد هذه الشبهة وبطلانها ، فكشفوا عن افتراء قومهم ومزاعمهم .

من أولئك الفيلسوف الإنجليزى توماس كارليل الذى يقول :

"وماكان محمد أخا شهوات - برغم مااتهم به ظلماً وعدواناً ، وشد مانجور ونخطىء إذا حسبناه رجلاً شهوياً لاهم له إلا قضاء مآربه من الملاذ . كلا فما أبعد ماكان بينه وبين الملاذ أية كانت"(٢).

وأما حديث "حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة" ، وزعم جولد زيهر أن قوله "وجعلت قرة عينى فى الصلاة" زيادة موضوعة أضيفت إلى الحديث فيما بعد ، والحديث يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم موضع اتهام خصومه لانشغاله بالنساء .

يجاب على هذه الفرية بما يلى :

أولاً : الحديث أخرجه النسائى (٣)، والإمام أحمد (٤)، وعبد الرزاق (٥)، والحاكم (٦) من حديث أنس بن مالك بزيادة قوله : "وجعلت قرة عينى فى الصلاة" .

---

(١) انظر : المرجع السابق ص٣٦٣-٣٦٦ .

(٢) الأبطال ص٨٩ .

(٣) سنن النسائى ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ٣/٥٨،٦٠ .

(٤) مسند أحمد ٣/١٢٨،٢٨٥ ، ٣/١٩٩ ولم يذكر "الدنيا" . وأخرجه عن عائشة بمعناه ٦/٧٢ .

(٥) مصنف عبد الرزاق ، باب المرأة تصلى وليس فى رقبتها قلادة وتطيب الرجال برقم ٧٩٣٩ ، ولم يذكر "الدنيا" ٤/٣٢١ .

(٦) مستدرك الحاكم ٢/١٦٠ ولم يذكر "الدنيا" .

وهو حديث صحيح بزيادته . وقد صححه جماعةمن العلماء(١).

ثانياً : ليس فى الحديث دلالة على انشغال النبى صلى الله عليه وسلم بالنساء حتى يكون موضع اتهام خصومه .

نقل السيوطى عن التسترى فى شرح الأربعين أنه قال :

"من" فى هذا الحديث بمعنى فى ، لأن هذه من الدين ، لامن الدنيا وإن كانت فيها . والإضافة فى رواية (دنياكم) للايذان بأن لاعلاقة له بها"(٢).

وقال الشيخ المناوى :

"إنه لم يضفها لنفسه ـ أى الدنيا ـ فما قال "أحب" تحقيراً لأمرها لأنه أبغض الناس فيها لالأنها ليست من دنياه بل من آخرته كما ظن إذ كل مباح دنيوى ينقلب طاعة بالنية فلم يبق لتخصيصه حينئذ وجه ، ولم يقل من هذه الدنيا لأن كل واحد ناظر إليها وإن تفاوتوا فيه وأما هو فلم يلتفت إلا إلى ماترتب عليه مهم دينى ، فحبب إليه (النساء) والإكثار منهن لنقل مابعث من الشريعة مما يستحيا من ذكره من الرجال ولأجل كثرة سواد المسلمين ومباهاته بهم يوم القيامة"(٣).

والرسول صلى الله عليه وسلم بشر وقد أباح الله له الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف كما قال تعالى : {ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً}(٤).

---

(١) قال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى . المستدرك ١٦٠/٢ .
وقال المناوى : "قال الحافظ العراقى : "إسناده جيد" ، وقال ابن حجر : حسن" . فيض القدير ٣٧١/٣
وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح الجامع ٨٧/٣ .
وانظر : مشكاة المصابيح ١٤٤٨/٣ فى الهامش ، ورقم الحديث ٥٢٦١ ، سير أعلام النبلاء ٩٠/١٢ ، ٣٩٤/١٥ فى الهامش .

(٢) زهر الربا على هامش سنن النسائى ٥٩/٧ .

(٣) فيض القدير ٣٧١/٣ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ٥١

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى " (١) .

فلم يكن صلى الله عليه وسلم راهباً متبتلاً كما يفعل رهبان النصارى، وجهلة المتصوفة ، كما أنه لم يطلق لنفسه العنان لتنغمس فى الشهوات والملذات كما يفعل عباد الدنيا ومقدسو المادة . إذ كان دينه وسطاً عدلاً فى كل شىء. لاإفراط ولاتفريط (٢) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أنس بن مالك ، كتاب النكاح : (٦٧) باب الترغيب فى النكاح : (١) ، ١١٦/٦ .
ومسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب النكاح : (١٦) ، باب استحباب النكاح: (١) ، برقم : (١٤٠١) ، ١٠٢٠/٢ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٨٩/١٢، ٩٠ .

(ب) **اهتمامه بالدنيا والغنائم وعيشه على التلصص والسلب :**

لقد كان النبى ميالاً فى بدء دعوته إلى الزهد فى الدنيا والتهوين من أمرها ، ولكن لما بدأت الفتوحات وظهرت الغنائم ، تغير مبدأ الزهد فى الدنيا إلى الطمع فيها ، وأصبح أمر الغنائم هو الذى يشغل باله ويدفعه إلى خوض الحروب وقتال الأعداء ، وهو الهدف نفسه الذى أثار به حماس جنوده ، الذين ماانضووا تحت لوائه إلا لعقدهم الآمال على الكسب والفوائد الميسورة التى عرضت لهم ، وعلى السعى للاحتفاظ بها(١).

قال مرجليوث(٢):

"عاش محمد هذه السنين الست مابعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب ، ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه ، وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية فى المدينة فقد كان هناك ـ على أى حال ـ سبب ما ، حقيقياً كان أم مصطنعاً يدعو إلى انتقامه منهم ، إلا أن خيبر(٣)التى تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها فى حقه ولافى حق أتباعه خطأ يعتبر تعدياً منهم جميعاً لأن قتل

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ص١٣٤-١٣٥ ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٩ .

(٢) مرجليوث :

هو دافيد صمويل مرجليوث إنجليزى يهودى ، من كبار المستشرقين ، متعصب ضد الإسلام ، ومن محررى "دائرة المعارف الإسلامية" ، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ، والمجمع العلمى فى دمشق . عين أستاذاً للعربية فى جامعة اكسفورد . له كتب عن الإسلام والمسلمين لم يكن مخلصاً فيها للعلم . مات سنة ١٩٤٠م.

من آثاره : "التطورات المبكرة فى الإسلام" ، "محمد ومطلع الإسلام" ، "الجامعة الإسلامية" وغيرها .

انظر : الأعلام ٢/٣٢٩-٣٣٠ ، المستشرقون ٢/٥١٨-٥٢٠ ، الاستشراق ص٣٦-٣٧ آراء المستشرقين حول القرآن ١/٨٨ .

(٣) خيبر : موضع مشهور على ثمانية برد من المدينة . من جهة الشام . كان بها سبعة حصون لليهود وحولها مزاع ونخل . والخيبر بلسان اليهود الحصن .

انظر : معجم البلدان ٢/٤٠٩-٤١٠ ، مراصد الاطلاع ١/٤٩٤ . وهى الآن مدينة معروفة من مدن المملكة العربية السعودية .

أحدهم رسول محمد لايصح أن يكون ذريعة للانتقام .

وهـذا يبين لنا ذلك التطـور العظيم الذى طرأ على سيـاسة محمد ، ففى أيامه الأولى فى المدينة أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين لكنه الآن (بعد السنة السادسة للهجرة) أصبح يخالف تماماً موقفه ذاك فقـد أصبح مجرد القول بأن جماعة ماغير مسلمة يعتبر سبباً كافياً لشن الغارة عليهـا ، وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التى أثرت على نفس محمد والتى دفعته إلى شن غارات متتابعة ، كمـا سيطرت على نفس الاسكنـدر(١)من قبل ونابليـون(٢)مـن بعد ، ... إن استيلاء محمـد على خيبر يبين لنـا إلى أى حد قـد أصبـح الإسلام خطـراً على العالم"(٣).

---

(١) الاسكندر :

حاكـم يونانى قديم . خلف أباه فيليب عام ٣٣٦ ق.م على مملكـة الروم الغربية . أخضـع جميع بلاد الاغريق لحكمـه ، ثم استولى على دولـة الفرس ومصر وسوريا والهند وأفغانستان ، وأخضع أجزاء كبيرة من العالم لحكمـه . وكان يطمع فى مده إلى جميـع أنحاء العالم ، ليتسنى لـه نشر الثقافة الإغريقيـة فى جميع بقاعه . ولكن عاجلته المنية فمات فى الثالـث والثلاثين مـن عمـره . ثم انقسـم ملكـه بعـد موته وتفـرقت أجزاؤه . وقـد بنى مـدينة الاسكنـدرية فى مصـر التى سميـت باسمـه . والصحيح أنه ليس ذا القرنين الذى ورد ذكره فى القرآن .

انظـر : تاريخ الطبرى ٥٧٢/١-٥٧٨ ، البـداية والنهـاية ١٠٥/٢-١٠٦ ، البـدء والتـاريخ ١٥٢/٣-١٥٥ ، التـاريخ القـديم ص٩٢-٩٥ ، دائرة المعـارف الإسلاميـة ١٢٦/٢-١٢٨ .

(٢) نابليون :

هو نابليون بونبارت قائد فرنسى تغلب على كثير من بلاد أوربا وغيرهـا . ثم تولى حكـم فرنسا ونصب نفسه امبراطـوراً عليها وعلى معظم بلاد أوربا ، وكـان حاكماً استبدادياً .

تحالفـت عليه دول أوربا فعزل فى سنـة ١٨١٤م ، ثم عين ملكـاً على جزيرة "إلبـا" الصغيرة . ثم عـاد إلى حكـم فـرنسا وغير سياسة الاستبداد . ولكـن الحلفـاء ثاروا عليه مرة أخرى فوقعت بينهما معارك أدت إلى هزيمته ، ثم نفى إلى جزيرة "سانت هيلانة" حيث توفى عام ١٨٢١م .

انظر : تاريخ أوربا الحديث وآثار حضارتها ص١-٦٣ .

(٣) الإسلام والمستشـرقون ص٢٥٦ نقلاً عـن "محمـد وقيـام السـاعة" لمرجليـوث ص٢٦٢-٢٦٣ .

والجواب على ذلك :

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيداً عن مطامع الدنيا مترفعاً عنها ، وصان دعوته التى كلفه الله بتبليغها للناس عن كل هدف وغاية رخيصة ، ولم يقرنها فى لحظة من اللحظات أو وقت من الأوقات بمطمع دنيوى أو عطاء بشرى ، لأنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى لاليأخذ أموالهم ويستمتع بحقوقهم ، {قل ماأسألكم عليه من أجر وماأنا من المتكلفين}(١)، فهو لايريد من الناس مالاً ولايريد ضياعاً ، وإنما يرجو ثواب الله والدار الآخرة ، {قل ماسألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد}(٢).

وذلك هو منهج الرسل صلوات الله عليهم جميعاً فى دعوتهم إلى الله فإنهم مترفعون عن أغراض الدنيا الزائلة ، منزهون عن مطامعها الدنيئة ، وإنما همهم رضا الله وثوابه(٣).

وقد عرض عليه صلى الله عليه وسلم القرشيون فى مبدأ دعوته المال والشرف والملك لكى يتنازل عما يقول ، ولكنه أجابهم بما ينفى عنه كل غرض أو مطمع زائل فقال لهم : "ماجئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولاالشرف فيكم ، ولاالملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل على كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوامنى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم" . أو كما قال صلى الله عليه وسلم(٤).

---

(١) سورة ص : آية ٨٦

(٢) سورة سبأ : آية ٤٧

(٣) انظر الآيات فى : سورة يونس : آية ٧٢ ، سورة هود : آية ٢٩،٥١ ، سورة الشعراء : آية ١٠٩،١٢٧،١٤٥،١٦٤،١٨٠ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٧٧ .

ولقد ظل صلى الله عليه وسلم على هذا الدرب لم يتغير ولم يتبدل لاكما يزعم المستشرقون .

يقول فخر الدين الرازى :

"إنه صلى الله عليه وآله وسلم تحمل فى أداء الرسالة أنواعاً من المشاق والمتاعب ، ولم يتغير عن المنهج الأول البتة . ولم يطمع فى مال أحد ولاجاهه . بل صبر على تلك المشاق والمتاعب ، ولم يظهر فى عزمه فتور ولافى إصراره قصور . ثم إنه لما قهر الأعداء ووجد العسكر العظيم والدولة القاهرة القوية ، ونفذ أمره فى الأموال والأزواج لم يتغير عن منهجه الأول والزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة ، وكل من أنصف علم أن المزور لايكون كذلك ، فإن المزور إنما يزور الكذب والباطل على الخلق ليجد الدنيا ، فإذا وجدها ولم ينتفع بها كان ساعياً فى تضييع الدنيا والآخرة على نفسه . وذلك مالايفعله أحد من العقلاء"(١).

لقد ضاق أزواجه يوماً من شظف العيش وضيق الحال ، وقلة المتاع فاشتكين حالهن له ، فأمره الله سبحانه أن يخيرهن بين فراقه لهن حيث يذهبن إلى من يجدن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين البقاء معه على ماهو عليه ، كما قال سبحانه : {ياأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً} فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة(٢).

لقد دانت له جزيرة العرب وانقادت له الجموع الهائلة وحكم أمره فى الأموال ، فلم يرض لنفسه أبهة الملك وعظمته ، وثناء الخلق وتعظيمهم له كما أطرت النصارى عيسى وعظمت الأعاجم ملوكها ، فقال :

---

(١) الأربعين فى أصول الدين ص٣١٢ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٨٠/٣ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص١٣٩ . والآيات هى ٢٩،٢٨ من سورة الأحزاب .

"لاتطـروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبـده ، فقولوا عبد الله ورسوله"(١).

وقـال : "إن كـدتم آنفاً لتفعلـون فعل فارس والـروم . يقـومون على ملـوكهم وهم قعود ، فلاتفعلوا ائتموا بأئمتكم . إن صلى قـائماً فصلوا قياماً ، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً"(٢). وذلك حين صلى أصحابه خلفه قياماً وهو قاعد .

قال الماوردى :

"مـامنع من السخاء والجود حتى جاد بكـل موجود وآثر بكـل مطلوب ومحبـوب ومات ودرعه مرهونة عنـد يهودى على آصع مـن شعير لطعام أهله وقـد ملك جزيرة العـرب وكان فيها ملـوك وأقيال(٣) لهم خزائن وأمـوال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعـون بها أشراً(٤)، وبطراً(٥)، وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولادرهماً ، لايأكل إلا الخشن ولايلبس إلا الخشن ، ويعطى الجزل(٦) الخطير ويصل الجم الفقير ، ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سغب(٧) الاختلال ،

---

(١) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص١٠٣ .
والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب {واذكر فى الكتاب مريم} (٤٨) من حديث عمر رضى الله عنه ١٤٢/٤ .
تطـرونى : الإطـراء هو مجاوزة الحد فى المدح ، والكـذب فيـه . النهـاية ١٢٣/٣ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله . كتاب الصلاة (٤) ، باب ائتمام المأموم بالإمام (١٩) برقم ٤١٣ ، ٣٠٩/١ .

(٣) أقيال : جمع مقول ، وقيل . وهو الملك . أو هو دون الملك .
انظر : القاموس المحيط ص١٣٥٨ .

(٤) أشراً : ويحرك . وهو المرح . والفعل منه أشر كفرح .
انظر : المرجع السابق ص٢٣٨ .

(٥) بطراً : بالتحريك : قلة احتمال النعمة . أو الطغيان بها .
انظر : المرجع نفسه ص٤٤٩ .

(٦) الجزل : هو الكثير من الشىء . انظر المرجع نفسه ص١٢٦٢ .

(٧) سغب : هو جوع مع تعب . انظر المرجع نفسه ص١٢٤ .

وقد حاز غنائم هوازن(١)، وهى من السبى ستة آلاف رأس ومن الإبل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم أربعون ألف شاة ومن الفضة أربع آلاف أوقية ، فجاد بجميع حقه وعاد خلواً"(٢).

لقد زهد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بكل ماتحمل كلمة الزهد من معنى حتى أشفق عليه صحابته رضى الله عنهم وراجعوه فى ذلك فأبى إلا الحالة التى كان عليها .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه قلنا : يارسول الله لو اتخذت لك وطاءً (٣)فقال : "مالى وللدنيا؟ ماأنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"(٤).

---

(١) هوازن : بطن من قيس عيلان من العدنانية وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة وهى التى حاربها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين .
انظر : معجم قبائل الحجاز ص٥٢٤-٥٢٦ ، السيرة النبوية لابن هشام ٩/١ ، ٣٣١/٤ ، البداية والنهاية ٣٢٢/٤ .

(٢) أعلام النبوة ص٢١٨-٢١٩ .

(٣) الوطاء : هو الفراش الممهد المذلل الذى لايؤذى جنب النائم .
انظر : الفائق ٦٨/٤ ، النهاية ٢١٠/٥ .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه . كتاب الزهد (٣٧) ، باب (٤٤) برقم ٢٣٧٧ .
وقال : "وفى الباب عن عمر وابن عباس" . وقال : "هذا حديث حسن صحيح" ٥٠٨/٤ . قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وهو كما قال" . سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٨٠/١ .
وأخرج ابن ماجه فى سننه نحوه من حديث ابن مسعود ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب مثل الدنيا (٣) ، برقم ٤١٠٩ ، ١٣٧٦/٢ .
وأخرج أحمد فى مسنده نحوه من حديث ابن مسعود أيضاً ٣٩١/١، ٤٤١ .
ومن حديث ابن عباس ولفظه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال : يانبى الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال : "مالى وللدنيا مامثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها" . ٣٠١/١ . =

قالت عائشة رضى الله عنها : "ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى سبيله"(١).

وقالت : "إن كنا آل محمد لنمكث شهراً مانستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء"(٢).

وقال النعمان بن بشير رضى الله عنهما : ذكر عمر (رضى الله عنه) ماأصاب الناس من الدنيا فقال :"لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى مايجد دقلاً(٣) يملأ به بطنه"(٤).

= وأخرجه ابن حبان من حديث ابن عباس بلفظ مقارب لرواية أحمد ، كتاب التاريخ (١٠) ، باب صفته صلى الله عليه وسلم وأخباره (٣) ، ذكر مامثل المصطفى صلى الله عليه وسلم نفسه والدنيا بمثل مامثل به برقم ٦٣٥٢ . قال الأرناؤوط : "إسناده قوى" . الإحسان ٢٦٥/١٤-٢٦٦ .
وأخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث ابن عباس نحو رواية أحمد وقال : "هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى .
وقال الحاكم : "وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود" . ثم ساق الحديث نحواً من رواية الترمذى ٣٠٩/٤-٣١٠ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ونسبه لأحمد . وقال : "رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة" ٣٢٦/١٠ . وأورد الشيخ ناصر الدين الألبانى : حديث ابن مسعود برقم ٤٣٩ ، وحديث ابن عباس برقم ٤٤٠ فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٩/١-١٨٠ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الأطعمة (٧٠) ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون (٢٣) ، ٢٠٥/٦ ، وفى باب ماكان السلف يدخرون فى بيوتهم وأسفارهم من الطعام وغيره (٢٧) ، ٢٠٦/٦ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم (١٧) ، ١٨٠/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، واللفظ له . كتاب الزهد والرقائق (٥٣) برقم ٢٩٧٠ ٢٢٨١/٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، بلفظ مقارب ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (١٧) ، ١٨١/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، فى الكتاب السابق برقم ٢٩٧٢ ، ٢٢٨٢/٤

(٣) الدقل : هو ردىء التمر ويابسه ، ومماليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لايجتمع ويكون منثوراً . النهاية ١٢٧/٢ ، وانظر : الفائق ٤/٢ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه فى الكتاب السابق برقم ٢٩٧٨ ، ٢٢٨٥/٤ .

بل قد حذر أصحابه رضى الله عنهم من الانغماس فى شهوات الدنيا وملذاتها ، وتخوف عليهم منها فقال : "إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها"(١).

وقال : "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء"(٢).

ولقد فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياة وماترك خلفه درهماً ولادينارا .

روى البخارى بسنده إلى عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى جويرية بنت الحارث قال : "ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولادينارا ولاعبداً ولاأمة ولاشيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة"(٣).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، وهو جزء من حديث ، كتاب الزكاة (٢٤) ، باب الصدقة على اليتامى (٤٧) ، ١٢٧/٢ .
وأخرج نحوه فى كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب فضل النفقة فى سبيل الله (٣٧) ، ٢١٣/٣-٢١٤ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٧) ، ١٧٣/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، فى كتاب الزكاة (١٢) ، باب تخوف مايخرج من زهرة الدنيا (٤١) برقم ١٠٥٢ ، ٧٢٨/٢-٧٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (٢٦) برقم ٢٧٤٢ ، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ٢٠٩٨/٤
قال النووى رحمه الله :
"معنى الدنيا خضرة حلوة ، يحتمل أن المراد به شيئان ، أحدهما : حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا . والثانى : سرعة فنائها كالشىء الأخضر فى هذين الوصفين . ومعنى مستخلفكم فيها جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أو بمعصيته وشهواتكم". شرح النووى على مسلم ٥٥/١٧ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الوصايا (٥٥) ، باب الوصايا (١) ، ١٨٦/٣ . =

هـذا إرثه فى هذه الدنيا التى يزعـم المستشرقون أنه عـاش على الطمـع فيها والسلب والنهب .

ومـع هـذا فلم يرث أهلـه عنـه شيئـاً لقـوله : "لانورث مـاتركنا فهـو صدقة"(١).

ويكفينـا فى ذلك قول عائشة رضى الله عنها إذ تقـول : "توفى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ومـافى بيتى من شىء يأكله ذو كبـد إلا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى"(٢).

= وأخرج نحوه فى كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب بغلة النبى صلى اللـه عليه وسلم (٦١) ٢٢٠/٣ ، وفى باب مـن لم ير كسـر السلاح عنـد الموت (٨٦) ، ٢٢٩/٣ ، وكتـاب فرض الخمس (٥٧) ، باب نفقـة نساء النبى صلى اللـه عليـه وسلم (٣) ، ٤٥/٤ ، وكتـاب المغـازى (٦٤) ، باب مـرض النبى صلى اللـه عليـه وسلم ووفـاته (٨٣) ، ١٤٤/٥ .

(١) سبق تخريجه انظر ص: ١٦

(٢) أخرجه البخـارى فى صحيحه ، كتـاب فرض الخمس (٥٧) ، باب نفقـة نساء النبى صلى اللـه عليـه وسلم بعد وفـاته (٣) ، ٤٥/٤ ، وفى كتـاب الـرقاق (٨١) ، باب فضل الفقر (١٦) ، ١٧٩/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحـه ، كتـاب الزهد والرقائق (٥٣) برقـم ٢٩٧٣ ، إلا أنها قالت : (ومافى رفى) ٢٢٨٢/٤-٢٢٨٣ .

ولكن إن كان ماسبق هو رأى بعض المستشرقين الجائرين فى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فقد أنصفه غيرهم من بنى جلدتهم ، وردوا على فريتهم تلك بما يكمم الأفواه ويخرس الألسنة .

قال كارليل :

"أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمداً وأثاره ، حمق وأيم الله وسخافة وهوس . أى فائدة لمثل هذا الرجل فى جميع بلاد العرب ، وفى تاج قيصر(١)، وصولجان(٢)كسرى(٣)وجميع مابالأرض من تيجان وصوالجة . وأين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر؟ أفى مشيخة مكة وقضيب مفضض الطرف أو فى ملك كسرى وتاج ذهبى الذؤابة منجاة للمرء ومظفرة؟ كلا إذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين القائل إن محمداً كاذب ، ونعد موافقتهم عاراً وسبة وسخافاً وحمقاً ، فلنرأ بنفوسنا عنه ولنترفع"(٤).

وقال :

"لقد كان زاهداً متقشفاً فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ، وإنهم ليذكرون - ونعم مايذكرون - إنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد فى الله ، قائم النهار ، ساهر الليل ، دئباً فى نشر دين الله ، غير طامح إلى مايطمح إليه أصاغر الرجال ، من رتبة ، أو دولة ، أو سلطان ، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة"(٥).

وقال المفكر الفرنسى الكونت هنرى دى كاسترى :

---

(١) هو لقب لملوك الروم . أسد الغابة ١/١٢٠ .

(٢) صولجان : بفتح الصاد واللام : هو المحجن . انظر القاموس ص٢٥١ .

(٣) هو لقب لملوك الفرس . أسد الغابة ١/١٢٠ .

(٤) الأبطال ص٧١-٧٢ .

(٥) المرجع السابق ص٨٩-٩٠ .

"لايمكن أن ننكر على محمد فى الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاصه وصدقه ، أما فى الدور الثانى فلم يتزعزع الإيمان من قلبه مثقال ذرة ، ... ولم يكن فيه أى عيب ، بل مانسبوه إليه (من قبل بعض الكتاب الأوربيين) لايؤثر بشىء فى سيرته الطاهرة. إن محمداً ماكان يميل إلى زخارف الدنيا ، ولم يكن بخيلاً وكان يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ، ويرقع ثوبه ونعاله بيده ويلبسها مرقعة ، وكان قنوعاً ، وقد خرج محمد من هذا الباب (يعنى توفى) ولم يشبع من خبز الشعير مرة فى حياته ، وتجرد من الطمع ، وتمكن من نوال المقام الأعلى فى بلاد العرب ، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها ، فلم تكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولاحشماً ، وقد احتقر المال ، وأنه بلغ من السلطان منتهاه ، ومع ذلك لم يكن له علامات الإمارة والملك سوى خاتم من الفضة مكتوب عليه (محمد رسول الله)"(١)(٢).

وأما زعم مرجليوث أن النبى صلى الله عليه وسلم انتقم من يهود المدينة بسبب حقيقى أو مصطنع ، يدل على جهل هذا المستشرق بتاريخ اليهود ، أو تجاهله لذلك .

لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة لم يكن فى سياسته إبعاد اليهود أو مصادرة أموالهم أو الخصام والتنازع معهم ، وأصدق دليل على ذلك ماأبرمه معهم من معاهدة تقرهم على دينهم وتؤمنهم فى أموالهم ، وجاء فيها نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق(٣).

---

(١) انظر : صحيح البخارى ، كتاب اللباس (٧٧) ، باب خاتم الفضة (٤٦) ، والأبواب التى تليه ٧/٥١-٥٤ .
صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة (٣٧) ، باب لبس النبى صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق نقشه محمد رسول الله (١٢) ، والأبواب بعده ٣/١٦٥٦-١٦٥٨ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص٣١٧ .

(٣) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣١٨، ٣١٩ ، فقه السيرة ص١٩٦، ١٩٧ .

وكان على اليهود وهم أهل كتاب ولهم عهد بالديانة والرسل أن يقفوا مع الإسلام ويؤيدوه ويناصروه ، وإن لم يفعلوا ذلك فعلى الأقل يقفوا على الحياد ، ولكنهم لم يفعلوا هذا ولاذاك وإنما ناصبوا الإسلام العداء حسداً وبغضاً ومالؤا أعداء الإسلام من المنافقين والمشركين فهتك القرآن استارهم ، وكشف دواخل قلوبهم المريضة ونفوسهم العليلة ، وبين ماتنطوى عليه تلك النفوس من عقائد باطلة ، وأخلاق منحطة ، وعادة سيئة ، ونبش تاريخهم المظلم تجاه أنبياء الله والصد عن سبيله ، وتحريف التوراة وغير ذلك (١).

فثارت ثائرتهم ، واشتدت عداوتهم ، ولم يقف بهم الأمر عند المخالفة وحياكة الدسائس ، بل تعدوا إلى تفضيل عبادة الأوثان على عبادة الواحد الديان ، وقد ذكر الله عنهم ذلك صراحة فى قوله : "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً"(٢).

وخانوا العهود ونقضوها وأسفروا عن وجه كالح ملىء حقداً وعداءً للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ، واستحالت مساكنتهم ومجاورتهم مع المؤمنين فى مكان واحد ، عند ذلك قلب لهم الإسلام ظهر المجن ، وأجلاهم نبى الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بما هو معلوم فى تاريخ السيرة .

وخيبر التى يزعم مرجليوث تجنى النبى صلى الله عليه وسلم على أهلها. لم يكن الأمر كذلك ، بل كانت خيبر قلعة حربية لليهود ، وهى آخر معاقلهم فى جزيرة العرب ، وكان يتربص أهلها بالمسلمين الدوائر ، وقد

---

(١) انظر : السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص٢٢٨-٢٣٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص٢٣١ ، والآية هى ٥١ من سورة النساء .
وفى معنى الجبت والطاغوت أقوال منها : السحر ، الأصنام ، الكاهن ، الشيطان .
انظر : تفسير القرآن العظيم ٥١٢/١ ، زاد المسير ١٣٨/٢-١٣٩ .

خافوا أن يصيبهم ماأصاب يهود المدينة ، فتآمروا مع غطفان(١)لغزو المدينة فتنبه النبى صلى الله عليه وسلم لأمرهم فسير الجيوش نحوهم لكسر شوكتهم وتأمين جهتهم(٢).

وإن كان هذا المستشرق قد جهل ذلك فغيره من المستشرقين لم يجهلوه . فقد قال مونتجمرى وات:

"كان يهود خيبر وخاصة رؤساء قبيلة بنى النضير التى أجلاها الرسول من المدينة يضمرون الحقد لمحمد ، وهم الذين نجحوا فى حمل قبائل العرب المجاورة على حمل السلاح على المسلمين والزحف عليهم ، بما بذلوه من أموال ، وكان ذلك هو السبب الرئيسى فى توجه محمد إلى خيبر بجيوشه"(٣).

ومع أن النبى صلى الله عليه وسلم فتحها عنوة بعد قتال مرير إلا أنه دفع إليهم أموالهم على أن يعملوها بينهم وبين المسلمين بالمناصفة كما جاء ذلك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها ، ولهم شطر مايخرج منها"(٤).

---

(١) غطفان : اسم لقبيلة من قبائل العرب ، من قيس عيلان . وهو غطفان بن سعد ابن قيس عيلان . نزلت الكوفة .
انظر : الأنساب ٥٩/١٠ .

(٢) انظر : السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص٣٥١-٣٥٢ ، فقه السيرة ص٣٦٨ .

(٣) السيرةالنبوية لأبى الحسن الندوى ص٣٥٢ الهامش ، نقلاً عن محمد النبى السياسى ص١٨٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب الإجارة (٣٧) ، باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما (٢٢) ، ٥٥/٣ ، وفى كتاب الحرث والمزارعة (٤١) ، باب المزارعة مع اليهود (١١) ٦٩/٣ ، كتاب الشركة (٤٧) ، باب مشاركة الذمى والمشركين فى المزارعة (١١) ، ١١٣/٣ ، وفى كتاب الشروط (٥٤) ، باب الشروط فى المعاملة (٥) ، ١٧٥/٣ ، وفى كتاب المغازى (٦٤) ، باب معاملة النبى صلى الله عليه وسلم أهل خيبر (٤٠) ، ٨٤/٥ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساقاة (٢٢) ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع (١) برقم ١٥٥١ ، ١١٨٦/٣-١١٨٧ .

وظل الحال كذلك حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرهم أبو بكر على معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ، وأقرهم عمر أيضا صدراً من خلافته ، ولكن بغضاؤهم وحقدهم على الإسلام دفعهم لارتكاب بعض الجرائم فى حق المسلمين ، فقتلوا عبد الله بن سهل الأنصارى ، وفدعوا يدى عبد الله بن عمر فما كان من عمر إلا أن قام فى الناس خطيباً فقال :

"أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الأنصارى قبله ، لانشك أنهم أصحابه ليس لنا هنالك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود ، فأخرجهم"(١).

وقد أيد فعل عمر رضى الله عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لاأدع إلا مسلماً"(٢).

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٦٨-٢٦٩ ، فقه السيرة ص٣٧٧ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب (٢١) برقم ١٧٦٧ ، ٣/١٣٨٨ .

(ج) **اتباعه لهواه :**

لقد زعم المستشرقون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير وفقاً لهواه ومزاجه ، فلاوحى يرشده ولادين يقوده ، وإنما الهوى هو الذى يسيطر عليه ويحركه كما يشاء .

يقول د. جلاوور(١)فى كتابه "تقدم التبشير العالمى" :

"كان محمد حاكماً مطلقاً ، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويفعل مايشاء ، وكان مجبولاً على هذه الفكرة ، فقد كان عازماً على أن يقطع عنق كل من لايوافقه فى هواه . أما جيشه العربى فكان يتعطش للتهديم والتغلب ، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم"(٢).

---

(١) جلاوور :
لم أقف له على ترجمة .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص٢٤٥ . نقلاً عن "تقدم التبشير العالمى" .

والجواب على ذلك :

لقد عصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع الهوى ومدحه بذلك فى قرآنه ، فهو لايقول إلا حقاً ولايفعل إلا حقاً . وأكد ذلك سبحانه بإقسامه على نفى الهوى عنه ، وذلك فى قوله : {والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى}(١).

قال العلامة ابن كثير رحمه الله :

"وقوله تعالى {ماضل صاحبكم وماغوى} هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال : وهو الجاهل الذى يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره ، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهى علم الشىء وكتمانه والعمل بخلافه بل هو صلاة الله وسلامه عليه ومابعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، ولهذا قال : {وماينطق عن الهوى} أى مايقول قولاً عن هوى وغرض {إن هو إلا وحى يوحى} أى إنما يقول ماأمره به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولانقصان"(٢).

وفى الحقيقة إن اليهود والنصارى هم الذين انطمست بصائرهم ، وضلت عقولهم ، واتبعوا أهواءهم ، حتى حذر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من سلوك مسلكهم واتباع أهوائهم فقال له : {ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق}(٣)، وقال : {وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك}(٤). وأى هوى أعظم من معرفة الحق ثم العدول عنه أو عبادة الله على الجهل والضلالة وتلك سمات أهل الكتابين التى وسمهم الله بها فى قوله : {اهدنا الصراط

---

(١) سورة النجم : آية ١-٤

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٦-٢٤٧ .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨

(٤) سورة المائدة : آية ٤٩

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين}(١).

إن أعداء الإسلام من المستشرقين لايرعوون عن إلحاق كل ذم وعيب بهذا الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ورميه بكل فرية ، وهم أولى بكل ذم وعيب ، وهل رميهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رموه به وهو منه برىء إلا من نتاج الهوى والحقد الذى ران على قلوبهم وتشربته نفوسهم حتى أصبح من أبرز السمات لهم؟، فهذه بحوثهم وتلك أقوالهم وآراؤهم التى مزجت بالهوى والضلال فراحوا يرمون غيرهم بما هم فيه ، وقد قيل فى المثل (رمتنى بدائها وانسلت)(٢).

فياأعداء الإسلام إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقول ولايفعل ولايأمر ولاينهى إلا بما أمره به ربه وخالقه سبحانه وتعالى ولايمكنه أن ينقص شيئا أو يزيد فيه من عند نفسه وقد قال له سبحانه : {ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين}(٣).

ولو فعل وحاشاه أن يفعل لتعرض لعقاب ربه وعذابه ، ولكنه الصادق فيما يقول ، الملتزم لأمر ربه المنصاع له المجتنب لما نهاه عنه ، فمثله لايكون متبعا لهوى البتة .

ثم أين الدليل على مازعمه جلاوور؟ كان عليه أن يمثل لنا بمثال يثبت به ماقال ، وأنى له ذلك ، انه لايملك مايدلل به على باطله ، فعاد قوله عليه ، لأن من الهوى أن يطلق الإنسان الحكم قبل إيجاد الدليل ، وقد فعل جلاوور ، فهو صاحب الهوى إذن .

لقد نبه الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى أمور ليست من أساس الدين ، كعتابه له فى قوله : {عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين}(٤)، وفى قوله : {ياأيها النبى لم تحرم ماأحل

---

(١) سورة الفاتحة : آية ٦،٧

(٣) سورة الحاقة : آية ٤٤-٤٧

(٢) مثل يضرب لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه . مجمع الأمثال للميدانى ٢/٢٣ . وانظر كتاب جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ١/٤٧٥-٤٧٦ .

(٤) سورة التوبة : آية ٤٣

الله لك}(١)، وقوله : {عبس وتولى}(٢)، وفى ذلك أصدق دليل على أنه رسول من الله لايفعل إلا مايرضى ربه ، ولو قال قولاً أو فعل فعلاً مهما قل ودق ولم يأت على مراد الله وأمره ، لعاتبه الله فيه . وحصر ماوقع فيه صلى الله عليه وسلم من أمور يسيرة ، وذكر الله لذلك فى القرآن ، دلالة على أن كل مانطق به وفعله وأقر عليه سوى ماذكر حق مؤيد بوحى من الله تعالى بعيداً عن الهوى والزلل(٣).

---

(١) سورة التحريم : آية ١

(٢) سورة عبس : آية ١

(٣) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٧٥ .

(د) **تناقضه :**

لقد حكموا على النبى صلى الله عليه وسلم بالتناقض فى أوامره وأحكامه ، ينفى اليوم مايثبته بالأمس ، ويثبت ماينفيه ، ويفعل ماحذر منه ، ويأمر بما نهى عنه ، حتى أصبح ذلك مدعاة لبعث النقاد الذين كشفوا هذه التناقضات .

يقول جولد زيهر بعد زعمه بأن القرآن متناقض :

"ورسالة النبى الدينية تنعكس فى روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة فى نفسه ... ويبدو فضلاً عن ذلك أنه فيما يتعلق بمحمد نفسه شرع منذ القدم فى البحث عن تناقض فيما يبشر به . ولاغرو فقد كان وحى النبى ، حتى فى حياته ، معرضاً لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص ، وكان عدم الاستقرار والطابع المتناقض البادى فى تعاليمه موضع ملاحظات ساخرة"(١).

ومن الأمثلة على تناقضه :

(١) بعث مرة سرية من جيشه لمباغتة قافلة بالعروض(٢)، فأصابت القافلة وأصابت منها غنائم كثيرة وكان ذلك فى الشهر الحرام ، فأثار ذلك عاصفة من الاستنكار ، فما كان من محمد إلا أن أنكر صنيع أتباعه ، الذى تم وفق رغباته بلاخلاف ، وعزاه إلى سوء فهم أوامره(٣).

---

(١) العقيدة والشريعة ص٧٩ .

(٢) العروض :

تطلق على المدينة ومكة واليمن . وقيل : على مكة واليمن . وقيل : على مكة والطائف وماحولهما . وقيل : على بلاد اليمامة والبحرين . وقيل تجمع ذلك كله. وسميت العروض لأنها تقع مستطيلة مع ساحل البحر .

انظر : معجم البلدان ١٦٠/٦ ، مراصد الاطلاع ٩٣٥/٢ .

(٣) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٩ .

(٢) لقد كان فى بادىء أمره لايهتم بأمر الدنيا ، ولايطمع فى نيلها ولكنه انتقل فى مراحله الأخيرة إلى الأمانى الدنيوية القوية التى صار لها التفوق خلال مراحل نجاحه، وهذا ماطبع الدين الإسلامى بطابع التناقض (١).

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ص٣٠-٣١ الأولى .

والجواب على ذلك :

لقد صان الله دينه وحفظ وحيه من التناقض والاختلاف ، ونزه شريعته من التضاد والتباين لأنها من عند الله عز وجل وهو الحق سبحانه الذى لاتتضارب أقواله ولاتتنافر أحكامه .

يقول الإمام الشاطبى رحمه الله :

"الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد فى فروعها وإن كثر الخلاف كما أنها فى أصلها كذلك ولايصلح فيها غير ذلك ، والدليل عليه أمور : أحدها : أدلة القرآن :

من ذلك قوله تعالى : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}(١)، فنفى أن يقع فيه اختلاف البتة . ولو كان فيه مايقتضى قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال . وفى القرآن {فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول}(٢)الآية . وهذه الآية صريحة فى رفع التنازع والاختلاف فإنه رد المتنازعين إلى الشريعة وليس ذلك إلا ليرتفع الخلاف ، ولايرتفع الخلاف إلا بالرجوع إلى شىء واحد . إذ لو كان فيه مايقتضى الاختلاف لم يكن فى الرجوع إليه رفع تنازع وهذا باطل .

وقال تعالى : {ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات}(٣)الآية . والبينات هى الشريعة فلولا أنها لاتقتضى الاختلاف ولاتقبله البتة لما قيل لهم من بعد كذا .

ولكان لهم فيها أبلغ العذر ، وهذا غير صحيح . فالشريعة لااختلاف فيها . وقال تعالى : {وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}(٤)، فبين أن طريق الحق واحد وذلك عام فى جملة

---

(١) سورة النساء : آية ٨٢
(٢) سورة النساء : آية ٥٩
(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٥
(٤) سورة الأنعام : آية ١٥٣

الشريعة وتفاصيلها"(١). إلى آخر ماذكر رحمه الله من أدلة تبين خلو الشريعة من الاختلاف والتناقض(٢).

وقال فى موضع آخر :

"إن كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لاتكاد تتعارض كما أن كل من حقق مناط المسائل فلايكاد يقف فى متشابه . لأن الشريعة لاتعارض فيها البتة . فالمتحقق بها متحقق بما فى الأمر فيلزم ألا يكون عنده تعارض ، ولذلك لاتجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف ، لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم"(٣).

ففى حقيقة الأمر لاتعارض بين أدلة الشرع على الإطلاق كما قال ابن خزيمة رحمه الله :

"لاأعرف أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين متضادين ، فمن كان عنده فليأتينى به لأؤلف بينهما"(٤).

ولكن قد تتعارض بعض الأحاديث عند بعض العلماء ولذا قام فن جليل وعلم هام من علوم الحديث عرف بعلم مختلف الحديث ومشكله ، وهو من أهم الأنواع، لاضطرار جميع العلماء إلى معرفته ، ولايكمل فيه إلا من دق فهمه وثقب رأيه ، ووسع علمه(٥).

وقد اعتنى علماء الحديث بهذا العلم اعتناء بالغاً ، منذ عصر الصحابة رضى الله عنهم ، فجمعوا بين الأحاديث التى ظاهرهاالتعارض فوفقوا بينها ، وأزالوا مابها من إشكال ، وكان لهم فضل كبير فى رد انتقادات الطاعنين ،

---

(١) الموافقات ٤/٦٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ٤/٦٣-٦٥ .

(٣) المرجع نفسه ٤/١٧٤ .

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٣ ، معالم السنة النبوية ص١٨٨ .

(٥) انظر : التقريب مع شرحه التدريب ٢/١٩٦ أصول الحديث ص٢٨٣ ، معالم السنة النبوية ص١٨٥ .

ودحض شبهات فرق المبتدعة كالمعتزلة وغيرهم ، ونقوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل شائبة وكدرة ، وأودعوا ذلك مؤلفات ، كاختلاف الحديث للشافعي ، وتأويل مختلفه لابن قتيبة ، ومشكل الآثار للطحاوى وغيرها الكثير(١).

وقد قعدوا القواعد التى تزيل الإشكال بين ماظاهره التعارض من الأحاديث وتوفق بينها . فذكروا أنه فى حالة تعارض حديثين يجمع بينهما إذا أمكن الجمع، ولايعدل عن ذلك إلى غيره ، فإن لم يمكن الجمع بينهما وعلم أن أحدهم ناسخ والآخر منسوخ عمل بالناسخ وترك المنسوخ ، وإذا لم يثبت النسخ أخذ بالراجح منهما ، وأوجه الترجيح كثيرة عدها بعضهم فزادت على المائة وجه(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"خفاء ترجيح أحدهما على الآخر إنما هو بالنسبة للمعتبر فى الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ماخفى عليه"(٣).

ولعل جولد زيهر يعنى بالتناقض أيضاً مايقع فى القرآن أو السنة من نسخ لبعض الأحكام .

والنسخ ثابت فى الشريعة الإسلامية، وهو مما خص الله به هذه الأمة لحكم كثيرة منها :

(١) مراعاة مصالح العباد .

(٢) تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص٤٧١، ٤٧٢ ، أصول الحديث ص٢٨٤ ، معالم السنة النبوية ص١٨٦، ١٨٩ .

(٢) انظر : التقريب مع شرحه التدريب ١٩٨/٢ ، الباعث الحثيث ص١٧٠-١٧١ ، شرح نخبة الفكر ص٦٢ ، تيسير مصطلح الحديث ص٥٨ ، معالم السنة النبوية ص١٨٨-١٨٩ .

(٣) شرح نخبة الفكر ص٦٣ .

(٣) ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه .

(٤) إرادة الخير للأمة والتيسير عليها ، لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب ، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر(١).

والنسخ لايكون فى القواعد الكلية كأركان الإيمان وإنما يكون فى الجزئيات الفرعية،وماوقع فيه النسخ منها قليل جداً(٢).

ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم مايجب معرفته لمن يبحث فى أحكام الشريعة ، ولذا أولاه الصحابة والتابعون وأهل العلم أهمية كبرى لما يترتب على ذلك من أخذ بعض الأحكام وترك غيرها ، وقد نبغ فيه كثير من العلماء ، وأوضحوا وبينوا مانسخ من الأدلة ومالم ينسخ وألفت فى ذلك الكتب وصنفت التصانيف(٣).

وبينوا مايعرف به النسخ من أمور،منها :

(١) أن يثبت النسخ بتصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أن يخبر بذلك صحابى من صحابته رضى الله عنهم أجمعين .

(٣) أن يتتبع التاريخ ليعرف السابق من اللاحق .

(٤) أن يدل على ذلك الإجماع ، والإجماع لاينسخ ولاينسخ ولكن يدل على النسخ(٤).

فكل حديث ثبت نسخه فقد بينه العلماء ودونوه ، فلم يبق للمستشرقين حجة فى ذلك أبداً .

فإذا تبين هذا ، نقول لجولد زيهر من هم النقاد الذين بحثوا فى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم وأثبتوا تناقضها؟ وأين تلك المتناقضات التى أخرجوها؟

---

(١) علوم القرآن ص٢٤٠ ، وانظر : علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص٢٢٢-٢٢٥ ، بحوث فى أصول التفسير ص٣٢٥ .

(٢) انظر : الموافقات ٣/٦٣،٦٥،٧٠ .

(٣) انظر : الحديث والمحدثون ص٤٧٢ ، أصول الحديث ص٢٨٨،٢٨٩ .

(٤) انظر : تدريب الراوى ٢/١٩٠-١٩١ ، الحديث والمحدثون ص٤٧٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص٦٠ ، معالم السنة النبوية ص١٩٥ .

ومامثل به من أمثلة لايدل على زعمه الباطل .

وهذا بيانه :

(أ) **حادثة السرية :**

وملخص ماحدث فى ذلك :

إن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ، وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، فلما سار اليومين فتح الكتاب فإذا فيه :

"إذا نظرت فى كتابى هذا فامضى حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم" .

فمضى ومضى معه النفر حتى نزل بنخلة فمرت بهم عير لقريش تحمل تجارة لهم وفيها عمرو بن الحضرمى .

فتشاور القوم فى أمرهم وكان ذلك فى آخر يوم من رجب ، فقال بعضهم : لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ مامعهم .

فرمى أحدهم ابن الحضرمى بسهم فقتله وأسروا منهم أسيرين ، ثم عادوا بالأسيرين والعير إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : "ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام" وأوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة "إنما أصابوا ماأصابوا فى شعبان" فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله قوله : {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير}(١)... الخ مانزل فى ذلك .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧

أى إن كنتم قتلتم أيها المسلمون فى الشهر الحرام فإن مافعله الكفار أعظم من ذلك وأكبر ، فإنهم صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وأخرجوكم منه وأنتم أهله ، ثم هم باقون على ذلك {ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}(١).

فلما نزل القرآن بذلك ، وفرج ماكان فيه المسلمون من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين وتجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ماكانوا فيه ، وأعطوا على غزوتهم أجر المجاهدين كما قال سبحانه : {إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم}(٢)(٣).

ويمكن من هذا السياق أن نستجلى عدة أمور تبين فساد مازعمه جولدزيهر :

أولاً : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث هذه السرية لقتال وإنما بعثهم لإرصاد أمر قريش وكشف أخبارهم .

ثانياً : لقاء السرية بالقافلة كان على غير توقع منهم .

ثالثاً : قتالهم لهم كان عن اجتهاد منهم ليس بأمر سابق، وقد دل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : "ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام" . وإيقافه للعير والأسيرين .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٨

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٩٧-٤٠٠ بتصرف . وانظر : تفسير القرآن العظيم ١/٢٥٣-٢٥٤ ، السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص٢٣٥-٢٣٨ ، فقه السيرة ص٢٢٩-٢٣٢ .

وقد روى البيهقى القصة فى سننه من طريق الزهرى عن عروة مرسلاً ، فى كتاب السير ، باب ماجاء فى نسخ العفو عن المشركين ٩/١١-١٢ ، ولكنه لم يورده بتمامه ثم ساق القصة بكاملها من طريق عروة فى الكتاب السابق ، باب قسمة الغنيمة فى دار الحرب ٩/٥٨-٥٩ .

وصحح الشيخ ناصر الدين الألبانى إسناده . انظر : فقه السيرة ص٢٣٠-٢٣١ الهامش .

رابعاً : تعنيف المسلمين لمن كان فى السرية ومؤاخذتهم لهم ، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعنفوهم .

خامساً : تخفيف الله عز وجل عن عبد الله بن جحش وأصحابه بمقارنة مافعلوه بما فعله المشركون وهو أعظم وأكبر ، ثم جعله إياهم من المهاجرين المجاهدين الذين يرجون بما فعلوا رحمة الله ومغفرته ، يدل على حسن قصدهم ورجائهم للثواب فيما صنعوا .

فليس لجولد زيهر فى هذه الحادثة من دليل يدل على تناقض النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره ، فبطل احتجاجه .

(ب) مااستدل به على تناقض النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الدنيا ، ورفضه إياها أولاً ثم ميله إليها ثانياً ، لايدل على تناقض ، وقد أسلف الحديث فى هذا الشأن فيما سبق عندما تعرضت لشبهة الغنائم(١) .

بعد هذا يتضح لنا أن مازعمه المستشرقون من مطاعن فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم يريدون من خلالها الطعن فى نبوته وإبطال رسالته ، ماهى إلا أمور أوهى من خيط العنكبوت ، بل بان من خلالها كذب هؤلاء المستشرقين وتلفيقهم ، وليهم للحقائق الثابتة لكى تتجارى مع أهوائهم ، وفساد نياتهم تجاه هذا الدين ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

ولاتزيد هذه الشبه إلا قدحاً فى مصداقيتهم ، وشكاً فى بحوثهم .

---

(١) انظر ص : ٤٤٦ فما بعدها .